مفيد عرنوق

صرح ومهد الحضارة السورية

دار علاء الدين
منشورات دار علاء الدين

صـــرح ومهـــد

الحضارة السورية

مفيد عرنوق

صرح ومهد الحضارة السورية

منشورات دار علاء الدين

دمشق - ١٩٩٩

الطبعة الأولى - ١٠٠٠ نسخة -

التنضيد الضوئي: دار علاء الدين للطباعة والتوزيع والنشر

التدقيق اللغوي : امتثال الكفيري

الإخراج الفني : هيفاء الرفاعي

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دمشق: دار علاء الدين

ص.ب: ٣٠٥٩٨

هاتف: ٥٦١٧٠٧١ - ٢٣١٧١٥٨

فاكس: ٥٦١٣٢٤١

المقدمـــة

وضعت هذا الكتاب ليحكي لنا قصة عهد البطولات في التاريخ السوري العربي حتـــى يتعرف أبناؤنا من طلبة المدارس والجامعات إلى تاريخ أمتهم ، الأمة التي أعطـت العـالم كل علم وفن وفلسفة ، والويل كل الويل، لمن لا يعرفون تاريخ أمتـــهم ، فـهم إذاً أشـبه بالرمال المتحركة فوق الصحارى تعصف بها الرياح فتنقلها دون إرادتـــها إلـى أقصـى الصحارى لتغيب عن واقع وجودها وتاريخها .

إنه كتاب مختصر بقدر الإمكان يحكي قصة نشوء عهد الحضارة السورية التي مـــرت بأربع ثورات حضارية :ثورة العصر الحجري الحديـث والثـورة الزراعيـة والفخاريـة والكتابية .

وعلى هذا المهد الحضاري الذي يبدأ به تـــاريخ الحضـــارة الإنســانية يعلـو صـرح الحضارة السورية بدءاً من عهد الطوفان ليدخل في عهد البطولات مروراً بالملوك العظـــام أمثال " أرو كاجينا " و "جلجامش" و " سرجون الأكادي " و "حمورابي " الذي يتوج عـــهد البطولات بأروع ما أعطت البشرية من زخم حضاري إنساني ، لا يزال حتى اليوم مبعـث الدهشة لدى علماء التاريخ والاجتماع . ولقد قال العالم الفرنسي " انـدره بـارو " بعـد أن اكتشف مدينة "ماري " على الفرات :" إن كل إنسان في العالم له وطنـان ، وطنـه الـذي يعيش فيه وسوريا " إنه قول عظيم وشهادة عظيمة على الحضارة السورية ،فحق لنـــا أن نفخر بها ونعتز .

كما نقرأ في هذا الكتاب تاريخ أعظم الحضارات السورية مثل " إيبـــلا" و "مـاري و أوغاريت تلك المدينة التي في عهدها وضع أحد أبنائها الأبجدية الكاملة التي تبنتها الأمـــم الحضارية حتى يومنا هذا .

كما أن هذا الكتيب يضم بين دفتيه نبذة عن حياة القواد أمثال "زنوبيا " و "هاني بعل " أعظم قائد حربي في تاريخ البشرية . وهذا الكتاب أيضاً يضم لوحة بأشهر أوائـــل الفكـــر العلمي والفلسفي أمثال "زينون " الرواقي و"بيتاغور" و"ابولودور الدمشـــقي " و "طـــاليس " أبو الفلسفة وكلهم وغيرهم الكثيرون تبنتهم "أثينا " و "روما " والأمم وقـــد نســـيتهم أمـــهم سوريا . فإلى هؤلاء جميعهم وغيرهم أدعو الأجيال الصاعدة إلى التعرف علــى مــآثرهم اعتزازاً بالفكر السوري البطولي على مرّ العصور ، ولا يزال مشعل العلم والحريـــة فـــي المغترب .

المؤلف

استهـــلال

أستهل هذا الكتيب بلمحة موجزة عن أحوال الشعب السوري وكيفية تكونه في الشـــرق الأوسط ، في البقعة المسماة "سوريا الطبيعية ".

إن ما نعرفه حتى الآن يعود إلى الهجرات التي نزحت من الجزيرة العربية واســتقرت في سوريا مندمجة في الشعب السوري الأصلي ومشكلة معه متحداً واضح المعـــالم مـن حيث تفاعله مع البيئة ومع بعضه البعض في متحد قلَّ نظيره في العالم المتمدن .

وأما نزوح هذه الهجرات من الجزيرة العربية إلى سوريا فيعود ســببه إلـى الجفـاف الشديد الذي اجتاح هذه المنطقة التي كانت في الماضي البعيد خصبة للغايـــة تشـد إليـها الأقوام العربية لتعيش فيها بكل أمان وعيش رغيد .غير أن تصحـــر الجزيـــرة وبخاصـة جوفها الملتهب بالرمال الحارة حصر الأقوام في أطرافها الشمالية الجنوبية والغربية حتـــى نهايات اليمن .فقد احتفظ هذا الشريط من أراضي الجزيرة بخيراته غير أنـــه لـم يســتطع استيعاب جميع أقوام الجزيرة العربية .وقد بحث العلماء مطولاً هذه الأقوام وتوصلوا إلـــى اعتبارها مؤلفة من ثلاثة أقوام عربية درجوا على إعطائها التسميات التالية : عرب البـائدة وعرب العرباء وعرب المستعربة .

أما البائدة فاسمهم يدل على صفتهم أنهم أبيدوا من الوجود بعد ما طرأ علـــى الجزيـــرة العربية من تغيرات جذرية في البيئة . أما كيف اختفوا وماذا حلَّ بهم فالتاريخ لـم يرصـد اختفاءهم حتى الآن .

وأما عرب العرباء فهم الذين استقروا في الجزيرة وبالتحديد في الربـــع الخـالي ولـم يختلطوا مع غيرهم من الأقوام .

وأما العرب المستعربة فإن اسمهم يدل عليهم أي أنهم بعد دخولـهم الجزيـرة العربيـة استعربوا ومنهم ابراهيم الخليل الذي نزح من "اور" في العراق إلى "حران " فـي شـمالي سوريا ومنها إلى فلسطين، أرض كنعان ومن ثم إلى الجزيرة العربية حيث بنى مـع ابنـه اسماعيل "مكة " المكرمة .

ويرجح علماء التاريخ أنه قبل نزوح ابراهيم الخليل بعدة آلاف من الســنين خرجـت أقوام من البادية السورية ، تحت وطأة الجفاف واتجهت إلى الجزيرة العربية فـي الزمـن

الذي كانت الجزيرة ترتع بالخيرات بفعل المناخ المعتدل وقبل تصحُّر البيئة.إنها نظريات لاتنطوي على دلائل واضحة يكتنفها الغموض كما ينقصها الدليل الثابت .

أما الذي نعرفه بصورة قاطعة هو أن أقوام الجزيرة التي ضاق بها العيش تحت وطأة الجفاف والتصحر بدأت تتجه بموجات متلاحقة من جهة الشرق والغرب فسجل التاريخ هذه الهجرات إلى "الهلال الخصيب " أو سوريا فامتزجت الهجرات العربية بالسكان السوريين الأصليين وتبنوا حضارتهم التي سبق ومرت في ثلاث ثورات متباينة سيجيء بحثها في هذا الكتاب وهي :

ثورة العصر الحجري الحديث

وثورة الفخار

وثورة الكتابة

إن هذه الثورات الثلاث تمثل مهد الحضارة السورية .

والهجرات العربية تبنت هذه الثورات وتفاعلت مع الشعب السوري الأصلي فاندمجت فيه وتوحدت وأنشأت متحداً متجانساً قلَّ نظيره في نشوء الأمم وأعطى العالم كل ما توصل إلى خلقه من علم وفن وفلسفة .

وأما الهجرات العربية إلى سوريا فقد عرفت كما يلي :

- الأكادية في عصر سرجون الأول الكبير

- العمورية البابلية في عصر حمورابي المشرع العظيم والصفة العمورية هي تسمية أطلقها السوريون في بلاد ما بين النهرين على أقوام هذه الهجرة وهم بالأصل كما عرفهم التاريخ كنعانيون .أما لفظة عمورية أو امورية فتعني سكان الغرب حتى أن البحر الأبيض المتوسط كان اسمه "بحر أمورو" .

- الكنعانية وقد نزحت جماعاتها من جنوبي غربي الجزيرة العربية ودخلت شواطيء سوريا أو البلاد التي نسميها اليوم بلاد الشام

- البابلية الجديدة في عصر "نبوخذ نصر " وهم من الأراميين .

وهذه الهجرات الرئيسية تشكل أربعة أقاليم وهي :

- سوبارتو في الشمال

- أمورو في الغرب

- عيلام وسوزانه في الشرق
- وسومر في الجنوب

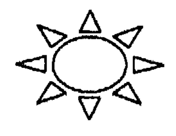
وقد هاجم البرابرة هذه الأقاليم أو البيئات الطبيعية وكان الصـــراع عنيفـاً ومصيريـاً وبخاصة مع "الغوطيين ".ولكن النزوع السوري إلى الوحدة البيئية الطبيعية وإلـى إقامة الدولة القومية لم يتوقف وهكذا وبعد انكفاء الغوطيين تجددت الدول السورية فظهرت :

- دولة حمورابي ١٧٨٠-٥٠٠ ق.م
- دولة الآشوريين ١٢٤٥-٦١٢ ق.م
- دولة البابليين الجدد ٦١٢- ٥٣٩ ق.م
- دولة النهضة العربية الإسلامية ٦٣٢ - ١٠٥٥ ق.م

إن هذه الدولة قامت لتجعل من سوريا قاعدة حضارية عالميـة وقـد أعطـت بـالفعل مقومات الحضارة العالمية فأخذ العالم عن سوريا أكثر مما أعطاها وانصهرت فيها أقـوام في عملية تجدد وبناء حتى قيل عن سوريا أنها أعظم مصهر في العالم .

ممن يريد أن يدرس التاريخ السوري عليه أن يدرسه ككل لا أن يُجزئه حتى يصبـح كالفسيفساء لا تستوعب صورتها الأساسية إلا بعد أن تجمع حجارتـها كـل حجـر في موضعه .

هذا ما ندعو إليه لمن يريد أن يدرس تاريخ سوريا وغير ذلك لا يـؤدي إلـى معرفـة حقيقية بهذا التاريخ الحافل بالعطاءات التي ارتفع فوقها " الصرح السوري " بكـل فخـر واعتزاز.



مهد الحضارة السورية

نقول في مستهل هذا الحديث أن سوريا هي إحدى بيئات العالم العربي وما يصيب هـذا العالم من نكبات تهتز له نفوس السوريين دفاعاً عن تراثهم، فسوريا هي صدر هذا العـالم وسيفه وترسه .

إن أول ما يتبادر للذهن هو معرفة اشتقاق اسم سوريا .لقد درج المؤرخـون أمثـال الدكتور فيليب حتى وغيره على القول أن اسم سوريا مشتق من صور وقـد يكـون مـن آشور .أما دراساتنا الحديثة فقد أوقعتنا على مقطع في كتاب : للعالم "كونشـينو " عنوانـه تاريخ الحثيين والماتينين يقول فيه أنه منذ الألف الرابع قبل الميلاد بدأت تتسلل إلى سـوريا عبر جبال زغروس أقوام من الرعاة الهندوأوروبيين استيقظتهم خصوبة الأرض السـورية وشمسها المشعة الدافئة. وكانت لفظة سوريا تسبق أسماء ملوكهم . وبعد التفتيش الدقيق تـم العثور على قاموس عربي سنسكريتي وإذ بلفظة سوريا موجودة فيه باللغـة السنسـكريتية ومعناها الشمس .

ومن هنا اتضح اشتقاق لفظة سوريا أي أنها من اللغة السنسـكريتية وتكتـب بـالألف الطويلة .

بعد هذا الكشف إن اسم سوريا ومعناه الشمس، فإن أول من أطلق هـذا الاسـم علـى منطقة الشرق الأوسط أي سوريا الطبيعية هم الهندو أوروبيون أثناء لجوئهم إلـى منطقـة الشرق الأوسط هرباً من الصقيع والجليد ولجوءاً إلى الدفء وخصوبة التربـة .وبموجـب هذا المنطق تسقط تسمية سوريا عن صور أو آشور لتثبت أنها سنسكريتية .

بعد هذه المقدمة التي كان لابدَّ منها نبدأ في عرض مهد الحضارة السورية كما سـجله علماء ما قبل التاريخ، منذ الألف العاشر قبل الميلاد حتى الألف الثاني منه وباختصار قـدر الإمكان .وفوق هذا المهد ارتفع صرح الحضارة السورية التي أعطت للعالم كل علم وفـن وفلسفة.حتى قال فيها عالم الآثار الفرنسي " اندره بـارو "بعـد أن كشـف أثـار مدينـة "ماري:"كل إنسان في العالم له وطنان وطنه الذي يسكنه وسوريا "

ونحن اليوم نعلم جميعاً أن العلماء حددوا العصور التي مرت على الإنسان بثلاثة :

" العصر الحجري القديم والوسيط والحديث " . والقديم يقع بين المائة والعشرين سنة قبل الميلاد، والوسيط من الألف الاثني عشر حتى السادس قبل الميلاد، وأما الحديث فمن السادس إلى الرابع قبل الميلاد . وكم كانت دهشة العلماء شديدة إذ ثبت لديهم أن السوري القديم انتقل دفعة واحدة من العصر الحجري القديم إلى الحديث متجاوزاً العصر الحجري الوسيط وقد أطلقوا على هذه النقلة النوعية صفة "ثورة العصر الحجري الحديث" . وقد ثبت لدى العلماء أن العقل السوري القديم كان يعمل على أساس العقل التركيبي وهو في الكهف . وإذا سألنا كيف تم ذلك بالتحديد فنقول على لسان علماء ما قبل التاريخ وعددهم لا يقل عن خمسة عشر عالماً أنه في الألف الرابع عشر طرأت تحولات على البيئة السورية ارتفعت معها درجة رطوبة الجو والحرارة، والسوري القديم أمام هذه التحولات البيئية انتقل من الكهف إلى الشرفات الممتدة أمام الكهف ومن ثم إلى أبعد من ذلك في العراء حيث أقام له نوعين من المسكن وهما " المعسكر الدائري " والمعسكر الشعاعي"وشرح العلماء معالم هذين المعسكرين بقولهم أن المعسكر الدائري مكون من عدة خيام مجموعة بشكل دائري يجوب أفرادها الطبيعة الواقعة بين هذه الخيام تفتيشاً عن الأقوات، وأما المعسكر الشعاعي فمن خيمة واحدة واسعة تضم عدة عائلات يرودون الطبيعة في جميع الاتجاهات وإلى مسافات بعيدة ما وسعهم ذلك وهي خطوة جريئة أمام المجهول .

وفي داخل كل معسكر ، كانوا يوقدون النار ضمن أثافي مصنوعة جنباتها من الطين والحجارة ، فتراءى لهم أن الطين يكسب قساوة بعد تعرضه للنار فيصبح صلباً كالحجارة إلى حد ما، فبدأوا يستخدمونه عوضاً عن الحجارة التي لم تكن متوفرة دائماً لهم .وهكذا تدرجوا في استخدام الطين المشوي عوضاً عن الحجارة في صنع خيامهم عوضاً عن أغصان الأشجار سواء في صنع الجدران أو في السقوف، وكانت هي الشرارة الأولى الحضارية في حياة إنساننا القديم في سوريا .ولما كان عقل السوري القديم التركيبي مستعداً ليعمل في الوجود بدأ بصقل الصوان ليجعل حافاته قاطعه ويضع السكاكين والمثاقب والرحى لطحن الحبوب وصنع مقابض لقطع الصوان حتى يجعل قدرتها على القطع قوية وقد تحققت كل هذه الإنجازات التي تقع عادة في العصر الحجري الحديث

تحققت في العصر الحجري القديم . فالسوري القديم اجتاز دفعة واحدة العصر الحجري الوسيط، ولذلك أطلق العلماء على هذه النقلة ثورة العصر الحجري الحديث .

ومن دراسة أثار هذا العصر اكتشف العلماء سلسلة من القرى النطوفية – نسبة إلى وادي النطوف في الأردن – تمتد من جنوب سوريا إلى أعلى شمالي العراق، وقد تكشفت الحفريات عن أثار العديد من القرى من جنوبي سوريا مروراً بلبنان ودمشق وأهم هذه القرى كان في قريتي " المريبط والهريرة "وكلها قرى نطوفية بدأت في الألف التاسع قبل الميلاد، وقد تميزت به كل من قريتي المريبط والهريرة ببيوتها المبنية من الطين وبتلاصقها مع بعضها البعض، وعلى جانبي طريق يفصل البيوت عن بعضها البعض كما وجدت أقنية تصل إلى كل البيوت من على جانبي الطريق، وهي بمثابة أقنية مكشوفة لسد حاجة السكان وأهمها وجد في قرية "المريبط".

ومن مخلفات سكان هذه القرى والكهوف المجاورة ، وجدت رسوم على جدران الكهوف وداخل البيوت للثور والأيل .للقوة التي كان يتمتع بها كل منهما فنمت عنده نزعة فنية بأن يشخصها برسوم على جدران الكهوف وداخل البيوت .

كما أن العلماء عثروا على دمى أنثوية لم يوجد من بينها أي دمية لرجل فقرروا أن المرأة دخلت في معتقداتهم بأنها الخالقة فعبدوها وقد توارثت الأجيال هذه العبادة تحت أسماء مختلفة مثل "الأم الإلهيه"و "عشتار" أو "انانا " إلهة الخصب إلى " اشيرة " أم الألهة و "اناة "الألهة العذراء المحاربة وإلهة الخصب .والرجل أيضاً قد خصه الأقدمون منذ العصر النطوفي باحترام يليق بقدرته الجسديه المهيأ لمصارعة الحيوانات والدفاع عن أفراد عشيرتة وقد برهنت على ذلك في قرية المريبط جماجم رجال مغروسة في الجدران داخل البيوت وقد أصلح الأقدمون هذه الجماجم إلى حدٍّ ما بترميم شكلها بالطين الاصفر الأحمر والعيون بالصدف، فاتفق رأي علماء ما قبل التاريخ على أن هذه الجماجم المغروسة في الجدران داخل البيوت لم تكن للزينة مادامت غير معرَّضة للناظر خارج البيوت وإنما للعبادة إكراماً للرجال الأقوياء المدافعين عن عشيرتهم ومن هنا برزت منذ القديم عبادة الجدود .

امتد العصر الحجري الحديث في سوريا حتى الألف الرابع قبل الميلاد حيث ظهر عصر الفخار الذي يمثل الثورة الحضارية السورية الثانية بعد ثورة العصر الحجري

الحديث . ونحن نعلم أن الفخار دخل في المصلحة النفعية إلى أبعد الحدود إذ غير إلى حد كبير نمط حياة الإنسان في القرى البدائية وبعدها بحيث باشر في صناعة الصحون الفخارية والقدور ومختلف الأدوات المنزلية، كما أنه تفنن في زخرفتها بألوان مختلفة لا تزال تُسر الناظر إلى يومنا هذا . مما جعلها سلعة جميلة ومفيدة دخلت وعلى أوسع نطاق في التبدل التجاري داخل سوريا وخارجها .

استمر هذا الوضع حتى الألف الرابع قبل الميلاد في عشية حدوث الطوفان . ومن دراسات العلماء اتفق الرأي على أن حادثة الطوفان وقعت في بلاد "سومر " على طول ٦٢٠ كم ومئة وعشرين كم عرضاً ، وذلك اعتباراً من خليج بصرة الذي كان متقدماً باتجاه البحر إلى آخر منطقة "سومر "طولاً، وشاملاً عرضاً المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات .وهكذا وبعد انحسار مياه الطوفان تجمع الناجون في موقع عرف فيما بعد بمدينة " كيش " وتفسيرها التجمع .وقد تبع ذلك إنشاء مدن عديدة مثل اور و اوروك و اومًا و اريدو استلم فيها الرجل زمام الأمور دون المرأة وقد عرف هذا العصر بعصر البطولات . وقد ساد الاعتقاد في ذلك الزمن أن صولجانات الملوك أنزلت عليهم من السماء بوساطة الإله " انليل " والإلهة " عشتار " فالصولجان كان بمثابة عقد بين الملك وإلهه حتى يحسن سياسة رعيته بالعدل والرحمة والعمل على ازدهار مدينته ، إنه عصر البطولات عصر " آدابا الصالح " الممكن مقارنته بآدم التوراة وبعصر "إيتانا " الذي رأى خلود الإنسان بولده وعصر "لوجال بندا "و "اوروكا جينا " أول مصلح اجتماعي في تاريخ العالم ، إلى ما هنالك من أبطال خلفوا لنا تراثاً غنياً نفاخر به ونعتز أمثال "اسرحدون " "وسرجون الأكادي " و "نبوخذ نصر " وغيرهم .

وبفعل نوعيات أعمال الأبطال الأوائل ، بدأت ذاكرة الإنسان تعجز عن استيعاب هذه الأعمال فكان لابدَّ من تدوين مآثرهم مما حدا الأولين إلى اختراع الكتابة وإعلان الثورة الحضارية الثالثة ألا وهي اختراع الكتاب كما ذكرنا .. وبفعل هذا الاختراع عثر علماء الآثار على الرقم الفخارية الحاملة منجزات تلك العصور كمايلي:

أولاً : اختراع الكتابة

كما سبق وذكرنا تمَّ للسوري اختراع الكتابة في الألف الثالث قبل الميلاد وربما قبل ذلك وكان تحت وطأة حاجته للتعبير عما يريد تدوينه مما كان عالقاً في الذاكرة من أعمال الملوك .

اعتمدت الكتابة الأولى على الصورة للدلالة على الحرف أو المقطع وسميت بالصورية أو ما عرف في الغرب بالهيروغليفية . ولقد قرر العلماء أنها ليست منقولة عن الهيروغليفية المصرية إنما قد تكون متزامنة معها فسميت بالمقطعية ثم باللاصقة.

إن الأبجدية السورية الأولى كانت مؤلفة من ثماني عشر حرفاً تطورت فيها أشكال الحروف ست مرات دون أن تفي بالغرض المنشود حتى استقر الحرف على صورة مسمارية فوصفت هذه الكتابة بالمسمارية تبنتها كل شعوب المنطقة حتى الزمن المتأخر .

ونحن نعلم من المكتشفات الحديثة أن الأبجدية الأولى تطورت على أيدي أبناء "تل براق" في شمالي سورية و "جبيل "في لبنان حيث اصبحت مؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً اكملها اخيراً ابن " اوغاريت " على الساحل السوري الشمالي حتى اصبحت تضم واحداً وثلاثين حرفاً وهي اليوم أساس كل الأبجديات اللاتينية .وعندما تمَّ اكتشاف أبجدية اوغاريت عيدَّت المحافل العلمية الأوربية يوماً كاملاً احتراماً لابن اوغاريت مخترع الأبجدية بحروفها الصوتية الكاملة .

ثانياً : في حقل التربية والتعليم

بنتيجة اختراع الكتابة نشأت المدارس السورية في وادي الرافدين وأولها كانت في مدينة "اوروك " و "شروباك " المعروفة حالياً تحت اسم " فارة " في " سومر " .

والهدف الأساسي للمدرسة السورية الأولى كان ما يمكن أن نسميه بالكتابة والتخصص والتدريب المهني سداً للحاجات الاقتصادية والإدارية، وبالدرجة الأولى تلبية لحاجات رجال المعابد والقصور . وقد أصبحت هذه المدارس مركز البحوث والعلوم سواء في اللاهوت أوفي المعارف الخاصة بالاقتصاد أو النبات والحيوان والمعادن والجغرافيا والرياضة والنحو واللغة وكل ما كان متعارفاً عليه في ذلك الزمن .

ولم يكن التعليم عاماً وإلزامياً ، إنه كان مأجوراً إلى درجة أن معظم الطلاب كانوا من العائلات الميسورة .

ثالثاً : في الشؤون الدولية

سجلت المدونات أول حرب أعصاب يشنها ملك يدعى " اينمر كـــار " ملـك "اوروك " على سيّد " إراتا " في جنوبي بحر " قزوين " لأن سيّد " إراتا " رفض أن يقدم إلى " اينمـــر كار " حجارة كريمة اشتهرت بها " إراتا " حتى ولو بالمقايضة على حبـــوب . ازاء هـــذا الرفض غير المبرر بدأ " اينمر كار بتهديد سيد "إراتا " الذي في حال اســـتمرار الرفـــض فإن الملك "ايتمر كار " سوف يسلط عليه غضب الالهة "عشتار " إلهة الخصب دون إراقـــة دماء ورغم ذلك استمر سيد " إراتا " رافضاً طلب " اينمر كار " مما دعا هذا الأخير إلـــى شن هجوم على سيد "إراتا "

وأجبره على الخضوع . فيكون الملك "اينمر كار " استخدم في بدايـــة الأمـــر حـــرب الأعصاب للتأثير على سيد "إراتا " حجباً للدماء ولكنه في نهاية الأمر اضطر إلـــى ذلـــك للحصول على الحجارة الكريمة التي لاتحتاجها " اراتا " وهذا يدل على روح العصر وقتئـذٍ الذي كان يفضل فيه الناس تسوية النزاعات دون حرب إلا عندمـــا يصبحـــون مرغميـــن على ذلك.

رابعاً : المفهوم الديموقراطي في نظام الحكم

مارس السوري القديم في الألف الثالث قبل الميلاد المفهوم الديمقراطي الذي تتباهى بـــه في الوقت الحاضر ، أعظم الدول حضارة وادعاء بالمحافظة على حقوق الإنســـان . فقـــد سجلت المدونات أنه في الألف الثالث قبل الميلاد مارس السوري القديم الحياة الديمقراطيـــة البرلمانية بأبهى صورها وقد أنشأ أول برلمان في تاريخ البشرية فقد التأم هـــذا المجلـــس البرلماني في جلسة خطيرة للنظر في نزاع كان قائماً بين مدينتي " كيش" و "اوروك " مـــا إذا كان المجلس يقرر الحرب أم السلم .

وهذا البرلمان أو مجلس الشعب كما تم الاصطلاح على تسميته في هذه الأيـــام وهـــو مؤلف من مجلس شيوخ أو أعيان ومجلس عموم أي مواطنين حملة السلاح ومثل هـــؤلاء يقدرون قيمة القرار الذي يتخذونه من حيث الحرب وفي ذلـــك روح ديمقراطيـــة عاليـــة المستوى . لقد نظر في النزاع القائم بين المدينتين المذكورتين فدعي مجلس الشيوخ للنظـــر في هذا النزاع ما إذا كان يسوّى بالحرب أم بالسلم فاختار المجلس السلم . غير أن الملـــك وهو " جلجامش " الشهير الذي ارتاب بصحة القرار فأحاله على مجلس المواطنيـــن الـــذي

بعد النظر في النزاع القائم بين " كيش و ارك "وما كان مجلس المواطنين هذا إلا أن قـــرر حسم الخلاف بالحرب و وافق " جلجامش " على هذا القرار . وهذا يدل على أن الســوريين منذ القديم وحتى اليوم يؤمنون بالروح الديمقراطية أشد الإيمان لاكما يدعي الغرب في هـذه الأيام بإقامة نظام جديد لحياة راقية جديدة .

خامساً : أول مؤرخ في التاريخ

نشب نزاع في الألف الثالث قبل الميلاد بين مدينتين : "لجش و اومّا " أدى إلى حـروب متواصلة مما حدا بالطرفين إلى الاتفاق على حفر خندق يفصل بين المملكتين . وعلى ذلـك عمد مؤرخ ، وهو يعتبر أول مؤرخ في التاريخ إلى تسجيل هذه الحوادث في اطار مقبــول من وجهة نظر حكومة الآلهة للكون وشئون الحياة الخاصة بعالم هذا المؤرخ . أما اســـمه فغير معروف أو مدون، مما يدل على أنه كان من أتباع القصور أو المعابد. وقـــد اعتــبر علماء الآثار والتاريخ هذا المؤرخ الأول من نوعه في العالم .

سادساً : في الإصلاح الاجتماعي

إن أول إصلاح اجتماعي مدون هو الذي وقع في مدينة " لجش " وكان على يد الملـك " اورو كاجينا " إن الظروف التي أتت بالمدعو اوروكاجينا إلى الحكم كانت على يد الشـعب الذي كان يرزخ قبل مجيء " اوروكا جينا " تحـــت وطـــأة الضرائـــب لصـــالح القصـــر ومؤسساته والعائلة المالكة ورجال المعابد . وكانت هذه الضرائب شديدة الوطأة عليه إلـــى درجة أنه لم يقوَ على تحملها فأتى بملك جديد يدعي " أوروكلجينا " الذي بادر فــوراً إلـــى إقامة حركة إصلاح واسعة جداً منها توزيع أراضي المعبد التي صـــودرت ســابقاً علـــى الفلاحين وإلغاء الضرائب وصيانة حق المواطنين والحفاظ على مصالح الأيتام والأرامـل . كما أنه أعلن ولأول مرة في تاريخ البشرية حرية المواطنين تلك الحريـــة التـــي أول مـــا لفظت فعلى لسان " اوروكاجينا "

كان لاصلاح أوروكاجينا أثر كبير في نفوس الحكام والمؤرخين وحتى المؤرخين قبـــل شريعة " حمورابي " العظيم . فقبله بمائة وخمسين سنة ظهر ثلاثة مشرعين وهم " اورنمـو "و " لبث عشتار " و "بلالاما " فكانوا المقدمة الأولى لشريعة حمورابي الشهيرة المتكاملـــة .ويقدر العلماء وجود مشرعين قبل ظهور هؤلاء قد تكتشف تشريعاتهم في يوم من الأيـــام

. فالتشريع السوري هو أقدم تشريع في العالم ونحن نعلم أن التشـــريع الرومـــاني قـــاعدة الحقوق في أيامنا هذه هو من صنع اثنين من تلاميذ مدرسة بيروت في العـــهد الرومـــاني وهما " بابنيا نو " من مواليد حمص (١٤٠ – ٢١٢) قبل الميلاد و " اولبيا نـــو " (١٦٠ – ٢٢٨) قبل الميلاد من مواليد صور وقد شغل منصب أستاذ فـــي مدرســـة الحقـــوق فـــي بيروت ومنصباً في القضاء في رومة .

سابعاً : أول سابقة قانونية في العالم

ثمة ثلاثة رجال : حلاق وبستاني وشخص ثالث غير مذكور اسمه أو مهنته قتلوا أحـــد موظفي المعابد اسمه : " لو- أننّا " وأخبروا زوجة القتيل بمقتل زوجها واسمها " نـــن- دادا وسرعان ما وصل خبر الجريمة إلى الملك فأحال القضية إلى المحكمـــة لمقاضـــاة القتلـــة وكان ذلك في مدينة " نفَّر " ويقيم فيها مجمع المواطنين أو البرلمـــان فمثـــل القتلـــة أمـــام المحكمة لمقاضاتهم فانبرى تسعة رجال يتهمون القتلة الثلاثة بجريمة القتل بما فيهم زوجـــة المغدور به بداعي أنها كتمت سر الجريمة وطالبوا بإعدام الأربعة . فانبرى رجـــلان فـــي قاعة المحكمة يدافعان عن المرأة بداعي أنها لم تكن ملزمة بالإعلان عن تلـــك الجريمـــة . وبعد التداول حكم القضاة على القتلة الثلاثة بالإعدام وببراءة الزوجة بداعـــي أنـــها غـــير ملزمة بإفشاء سر الجريمة لأن زوجها لم يكن يعيلها وقد برأتها المحكمة . بعـــد أن اطلـــع علماء الآثار على هذه المحاكمة الطريفة أحالوا قـــرار المحكمـــة إلـــى المحكمـــة العليـــا الأمريكية للنظر في صحته فكان الجواب بالموافقة على قرار المحكمة أي محكمة " نفَّر "

ومن هنا يتضح مفهوم العدل لدى السوريين القدامى . وقد استمر هذا المفـــهوم قائمـــاً حتى اليوم بإقرار من محكمة العدل الأمريكية .

ثامناً : في الطب

عثرت بعثة الآثار على لوح فخاري يعود تاريخـــه إلى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد يبحث في أمور طبية ويعتبر أقدم كتاب موجز في الطب والمكان الذي عُثر فيه على هـــذا الرقيم هو في خرائب "نفَّر " على يد البعثة الامريكية التابعة إلى جامعة "فيلادلفيا " .

يتضمن اللوح شروحات عن كيفية تحضير الأدوية من مراهم وقطرات مستخرجة مـــن جذور وقشور الاشجار ومن المعدنيات مثل ملح الطعام ونيترات البوتاسيوم (ملح البـــارود)

ومن المواد النباتية مثل القاسيا، والآس والحلتيت والزعتر والصفصاف ، والكمثري والشربين والتين والتمر ...وكانت العقاقير تهيأ إما من البذور أو الجذور أو الفروع أو اللحاء أو الصموغ ويحتفظ بها على هيئة مادة صلدة أو مسحوق . وكانت تستعمل تلك الأدوية كما ذكرنا إما بشكل مراهم أو قطرات .

ولقد صرح العلماء بعد ترجمة اللوحة الفخارية الطبية أن هؤلاء الأقوام كانت لهم دراية بعلم الكيمياء ومما يؤسف له لم يعثر العلماء على معلومات حول الأمراض التي كانت تتطلب مثل هذه العلاجات مع الأمل المستمر أنها ستكتشف في يوم من الأيام .

تاسعاً : في الزراعة

برع السوريون القدامى بالزراعة وكان ذلك بدءاً من الألف السابع قبل الميلاد سواء في وادي الرافدين أو في جنوبي سوريا في " أريحا " على سبيل المثال . فقد عثر العلماء على لوح فخاري بمثابة دليل زراعي يشرح فيه واضعه الطريقة المثلى في زراعة الشعير ، بدءاً من نزع الأعشاب قبل البذور والحراثة وبذر البذور في أثلام مستقيمة إلى الحصاد والدراسة وجمع الحبوب بعد غسلها . فإذا ما قارنا قواعد الزراعة المشروحة في هذا الدليل مع القواعد الحديثة لما استطعنا إضافة أي شيء إليها . ومن أجل عملية الحرث فقد اخترعوا المحراث التقليدي المستعمل حتى أيامنا هذه، غير أنهم كانوا يضيفون إليه انبوباً معلقاً خلف السكة يتساقط فيه البذار فيرتمي في الثلم وهي طريقة مثلى في زراعة الشعير والقمح .

ويعتبر هذا التقويم أول وأقدم تقويم زراعي عرفته البشرية .

عاشراً : في البستنة

ومما يدلُّ على تقدم الزراعة في سوريا أنهم حاولوا غرس الأشجار وبخاصة نوع " السَّربتو "الذي ينمو على ضفاف الأنهار ويصلح مصدَّات للرياح . وحكت لنا الرقم الفخارية القصة التالية :

" كان يعيش في قديم الزمان بستاني اسمه " شيكلوتودا " لم ينل سوى الإخفاق في إقامة بستنة في أرضه . وبالرغم من عنايته الكاملة بإرواء جميع أخاديد وأجزاء البستان كان اليبس يحل بغراسه حتى الموت . وكانت الرياح الهوجاء تلطم وجهه بغبار الجبال وكان

كل ما يرعاه ويعتني به يتحول إلى قفر وخراب . وعندئذٍ رفع عينيه شرقاً وغرباً إلى السماء ذات النجوم الكثيرة ودرس نذر الآلهة وارادتها وبعد أن نال الحكمة الجديدة من جراء تطلعه إلى السماء غرس شجرة " السربتو " في بستانه . وهي شجرة يبقى ظلها الوارف من مطلع الشمس حتى مغربها . وبنتيجة هذه التجربة الناجحة في فن البستنة ازدهر بستان " شيكلوتودا " بجميع أنواع النباتات الخضراء اللون .وحدث ذات يوم أن الآلهة " انانا " (وهي عشتار إلهة الخصب) كانت قد عبرت السماء والأرض واضطجعت قرب بستان " شيكلوتودا " لتريح جسدها المنهوك من التعب . لقد راقبها البستاني وانتهز فرصة اعيائها وضاجعها . ولما طلع الصباح واشرقت الشمس نظرت " انانا" حواليها في دهشة وذعر لما حلَّ بها وآلت على نفسها أن تجد ذلك الإنسان الغاني الذي انتهك حرمتها وجللّها بالعار وتنتقم منه ، فسلطت على بلاد سومر ثلاثة أنواع من الأوبئة وهي إن ملأت جميع آبار البلاد بالدم فاصبحت كل احراش النخيل والكروم ملأى بالدم وسلطت رياحاً وعواصف مدمّرة على البلاد أما البلاء الثالث فطبيعته مجهولة (بسبب تحطيم اللوحة) وتابعت "أنانا " التفتيش عن "شيكلوتودا " وما كان هذا الأخير إلا أن عمل بنصيحة والده فلجأ إلى أصحاب الرؤوس السوداء وهم قبائل " كينجو " واختبأ عندهم ونجا من غضب " انانا" إذ لم تعثر عليه "

هذه الصورة معقدة كما يرى القارىء ومن الصعب تفسيرها . وكل ما تدل فعلى قبائل " كينجو " ذوي الرؤوس السوداء فلم يكونوا من أتباع " انانا " ولذلك لم تعثر عليه . ويدل هذا على أن ما يقول عنهم أبو السمريات " صموئيل نوح كريمر " أنهم سومريون ليسوا سوى قبائل " كينجو " تسللوا إلى وادي الرافدين طمعاً في خصوبة الأرض والعيش الهادىء . وأما ما يقول عنهم العالم كريمر فإنهم مزيج من عدة أقوام يعود نسبهم إلى منطقة سومر كما اصطلح الأكاديون أن يطلقوا على منطقتهم اسم سومر .

الحادي عشر : في الفلسفة

سجل السومريون القدامى أول أراء للإنسان عن أصل الكون وفلسفة الكائنات .
ونظرتهم تلك المتعلقة بأصول الأشياء ونظام الكون لم توضع بشكل صريح واضح . فالمنهج العلمي الذي يدور على التعريف والتعميم كان خافياً عليهم فلم يأخذو بمبدأ العلة والمعلول كما أنهم لم يسألوا عن كيف ولماذا ؟ ذلك المبدأ الفلسفي القائم في وقتنا

الحاضر، إذ اكتفوا ببحث الظواهر الطبيعية وكأنها حقائق لاهوتية يقينية . وهكـــذا تركـــز تفكيرهم على استنتاج وجود ما يمكن تسميته." البحر الأول" وهو يمثل بنظرهـــم الســـبب الأول لكل شيء في الكون . كما أنهم لم يتساءلوا عما كان الوجود قبـــل ".البحـــر الأول " سواء في الزمان أو المكان . واعتقدوا انه في هذا البحر ولد الكون أي الســـماء والأرض يفصل بينهما " الجو " المتحرك المتمدد ومن الجو تولدت الأجـــرام النـــيرة مثـــل القمـــر والشمس والكواكب والنجوم . وقد أعقب انفصال السماء عن الأرض المرتبطتيـــن بـــالجو بروز الحياة النباتية والحيوانية والبشرية .

أما من خلق هذا الكون الثابت على مرّ الدهور فقد افترضوا وجـــود مجموعـــة مـــن الآلهة أشبه ما تكون بالإنسان ولكنها أعلى منه وخالدة . كما أنـــها محتجبـــة عـــن رؤيـــة الإنسان الفاني وهي تسيِّر الوجود وتسيطر عليه وفق نواميس ثابتة . كما اعتقدوا أن كـــل إله منوط به جزءٌ خاص من هذا الكون مثل السماء والأرض والبحر والهواء ومجموعـــة الأجرام السماوية الرئيسية مثل الشمس والقمر والكواكب وقوى الجـــو وعنـــاصر الريـــاح والزوابع والعواصف . وعلى الأرض الأنهار والجبال والسهول والحقول والمزارع وحتـــى الآلهة والأدوات كالفأس وقالب الآجر والمحراث . والذي قادهم إلى هذه الاستنتاجات كمـــا استنبطوها انتقالهم العقلاني من المعلوم إلى المجهول . إذ تصـــوروا أن البلـــدان والمـــدن والقصور والمعابد والحقول والمزارع كلها تقع تحت رعاية حية من البشر . وعلـــى هـــذا الأساس تكون القوى الطبيعية التي لا يستطيعون ملامستها وواقعة تحت رعايـــة كائنـــات حية على هيئة البشر ترعى شئونها وتسيِّرها . ولولا ذلك لاختل نظام الكون واضمحـــل . وهذه الكائنات اطلقوا عليها اسم " دنجر " وترجمتها إله وهي غير مرئية ومتفاوتة القـــدرة ، كما هو الحال في المدن التي يحكمها ملك ومسؤولون آخرون .

لقد افترضوا وجود سبعة آلهة يقدرون المصائر وخمسين إلهاً لقبوا بالآلهة الكبار . وقـــد ميَّزوا بين الآلهة الخالقة وغير الخالقة . فالخالقة هي السماء والأرض والبحر والجـــو وإن كل ظاهرة أخرى لايمكن أن توجد إلا من ضمن هذه القوى الأربع ، علمـــاً بـــأن القـــدرة الكامنة في الخلق لدى الآلهة هي " الكلمة " أي ارادة الله . والكلمة هذه أصبحـــت عقيـــدة لدى جميع شعوب الشرق الأدنى حتى يومنا هذا. على أساس "كن فيكون " ونحن اليوم فـــي عصر العلم والكشوفات لانستطيع أن نطالب الأقدمين بأكثر مما قدموه في فلسفة الكون .

الثاني عشر : أول مثل عليا

إن نظرة السوري القديم إلى الكون والحياة قادتهم إلى الاعتقاد بأن الإنسان إنما خلق من أجل عبادة الآلهة وتزويدها بالطعام والشراب والمسكن حتى يتاح لها القيام بأعمالها دون انقطاع . ومن مراقبتهم للحياة الإنسانية اعتقدوا أن هذه الحياة يكتنفها الشك والالتباس وهي معرضة للأخطار . فالإنسان لايعرف سلفاً المصير الذي رسمته له الآلهة .

وأما الحياة الثانية بعد الموت فتكون في عالم الظلام ، العالم الأسفل الرهيب وهي صورة بائسة عن الحياة الأرضية . ومن خلال هذه النظريات كان السوري القديم يؤمن بالقدرية فهو مسيَّر غير مخيَّر . ونحن نعلم من مدونات الأقدمين أنهم كانوا على خلق رفيع فكانوا محبين للصدق والقانون والنظام والعدالة والحرية والصلاح والاستقامة والرحمة والرأفة . كما كانوا يمقتون المعصية والضلال والقسوة وتحجر القلب . وكان ملوكهم يتباهون بإقامة العدل والنظام وكل ذلك مستقى من تعاليمهم الدينية . كما أنهم راقبوا النفس البشرية فتجلت نظرتهم إلى الحياة عبَّروا عنها بأمثال إنسانية عامة صالحة لكل زمان ومكان ، وقد دون الأقدمون على لسان الإله " خاي " وهو زوج الألهة ندابا إلهة الحساب والكتابة سخط الآلهة على من :

- تخطى حدود النظم المقررة، ونقض العهود والعقود ونظر نظرة رضا إلى مواطن الشر
- سلك سبيل العدوان واغتصبت يده ما ليس له
- من بدل الوزن الكبير بالوزن الصغير
- من بدل الكيل الكبير بالكيل الصغير
- من أكل ما ليس له ولم يأكل أكلته
- من شرب ما ليس له ولم يشرب شربته
- من قال لآكلن ما حُرِّم
- ومن قال لأشربن ما حُرِّم

كما أنهم دونوا ما تحلت به الإلهة " نانشه " إلهة" اور " من صنوف العدل والرحمة إذ وصفت بما يلي :

- تواسي اليتيم ولا تهمل الأرملة .
- تعدُّ الموضع الذي تهلك فيه الأقوياء
- وتسلم الأقوياء إلى الضعفاء
- إن " نانشه " تنفذ إلى قلوب الناس

هذه هي عقلية السوري القديم وأخلاقه ونظرته إلى الحياة في العهد الوثني قبل أن يعرف الله الأوحد خالق البشر . إنها وثنية غارقة في مكارم الأخلاق والمثل العليا.

الثالث عشر : في العذاب والتسليم

إن قصة أيوب التوراتية التي نتغنى بها منتحلة عن القصة السورية التي يدعى بطلها " يُسري مُشري شاقان"فهذا الرجل السوري كما جاء في الرقم الفخارية غمرته النعمة من كل جانب مالاً وجاهاً وقوة وفجأة توالت عليه الأحداث وفقد ثروته وجاهه كما اصيب بالأمراض فتألم وتعذب إلى أبعد الحدود . وكما جاء في قصة أيوب التوراتية المنتحلة عن قصة " شاقان" قد عاده ثلاثة من اصدقائه ورثوا لحاله واخذوا يشككونه بإلهه " مردوخ " غير أن " يسري شاقان " أبى الانصياع إلى آرائهم وبقي ثابتاً على ايمانه لا يتفكك عن الابتهال إلى " مردوخ " مردداً قوله الشهير :" إن ما نراه خيراً قد يكون بنظر الاله شراً وما نراه شراً قد يكون خيراً . " واستمر " يسري " على هذا الإيمان حتى استجاب إليه الإله " مردوخ " وأعاد له صحته وجاهه السابق . إنها قصة الإيمان وفلسفة سجلها لنا السوري القديم وسرقتها كتبة التوراة تحت اسم " أيوب " وراحت مثلا .

الرابع عشر : الأمثال

تدل الأمثال السورية القديمة على عمق المفهوم الإنساني وتشكل قاسماً مشتركاً بين جميع أبناء الحضارات حتى يومنا هذا كقولهم :

" - لقد ولدت يوم نحس . (ويعنون بذلك القضاء والقدر ازاء الفشل) "

" - أيكون حمل دون جماع (وهذا يمثل العلة والمعلول)"

" -وهل تحدث سمنة دون أكل ."

وكقولهم في الأفراد الفاشلين :

" - لو وضعت في الماء لفسد الماء "

"– ولو وضعت في البستان لبدأت أثماره تفسد "

وقولهم :

"– كتب علينا الموت فلننفق

"– وما دمنا نعيش عمراً طويلاً فلنقتصد

ويقولون :

"–خير للفقير أن يموت من أن يعيش"

"–فإذا حصل على الخبز عدم الملح "

"–وإذا كان لديه الملح عدم الخبز "

"–وإذا كان لديه اللحم فيكون قد فقد الحمل "

"–وإذا كان عنده الحمل فيكون قد فقد اللحم "

ويقولون في الإنفاق :

"– يقضم الفقير فضته "

"– يقترض الفقير فتركبه الهموم "

ويقولون في ثورة الشعب على الطبقة المثرية :

"– ليس كل عيال الفقراء مستسلمين على السواء

ويقولون في الفقير الذي أخفق في عمله دون أن يكون مقصراً :

"– إنني جواد أصيل ولكنني ربطت مع بغل

"– ووقع علي أن أجرَ العربة وأحمل القصب والأكداس

كما كانوا يقدرون قيمة اللباس كقولهم :

– كل فرو يميل إلى الشخص الذي يلبس الحلة الفاخرة ويقولون في المرأة:

– المرأة البرمة القلقة في البيت تضيف عذاباً إلى عذاب

– القلب الفرح – العروس

– القلب المغتم – العريس

ويبدو أن الكنة كانت ذات منزلة رفيعة كقولهم :

– محل التجارة في الصحراء هي حياة الرجل

– والنعل يمين الرجل

- والزوجة مستقبل الرجل
- أما الكنة فشيطان الرجل

وهناك الكثير من هذه الأقوال وكلها تدل على عمق فهمهم لإنسانية الإنسان

خامساً : في المناظرات

كان السوريون القدامى دقيقي النظر في دراسة الطبيعة البشرية فهم أسلاف الانتروبولوجيين الحديثين وقد عكفوا على تحليل عناصر المدينة وجزأوها إلى أكثر من مائة نظام وحرفة وصنعه وميول وأساليب عمل .ولاحظوا أن العديد من هذه العناصر مترابط بهيئة أزواج متناقضة مما أثار عندهم أسلوب الجدل . فظهرت المناظرات. نقدم هنا واحدة منها على سبيل المثال وهي المناظرة بين الراعي والفلاح أو ما نسميه بين البداوة والحضارة.

إن المناظرة التي نقدمها هنا باختصار هي بين الراعي " أيميش" والفلاح " إينتين" فعندما نشأت المستعمرات الزراعية كان الرعاة يسطون على المستعمرات معتقدين أن لهم الحق في ذلك فراح كل من الراعي والفلاح يتباهى باعماله وقد دعاهم ذلك للاحتكام إلى الاله " انليل " وفي حضرة الاله اخذ كل من المتخاصمين يشيد بأعماله وأنه أحسن من أخيه وكان ذلك لوقف الصراع القائم بينهما .

قدم الراعي تقدمة إلى الإله من مواشيه والفلاح تقدمة من انتاج الأرض وبعد أن استمع الإله " انليل " إلى دفوع كل واحد منهما تقبل تقدمة الفلاح " إينتين " معلناً أن الفلاح أهم من الراعي وبموجب هذا الحكم تكون الزراعة قد انتصرت على حياة الرعي ووجبت المحافظة عليها من كل اعتداء ، وازاء هذا الحكم تنتفي العداوات بين أصحاب المزارع والرعاة وما كان من الراعي إلا أن ركع أمام أخيه وتصالح الإخوان .

تذكرنا هذه القصة بالقصة التي انتحلها اليهود تحت عنوان " قايين وهابيل" وهما الفلاح والراعي المتخاصمان . تماماً كما حدث في القصة السورية غير أن القصة التوراتية بعد أن لفظ الإله الحكم لمصلحة الزارع أي لمصلحة " قايين " قام هذا الأخير وقتل أخاه الراعي فما معنى هذا التحريف المغاير لمضمون المنانظرة السورية ؟ إن كتبة التوراة ارادوا بالفلاح " قايين " أن يمثل الشعب الكنعاني المزارع وأن يكون " هابيل " الراعي

ممثلاً للشعب العبري وهذا واقع تاريخي لأن الكنعانيين كانوا بناة مستعمرات زراعية وأما العبريون فكانوا رعاة قائمين في المرتفعات . إن كاتب التوراة أراد أن يوصم الكنعانيين بالقتل وأن العبريين أي اليهود بمن وقع عليهم الغدر . فالنزاع الذي قام بين اصحاب المزارع والرعاة انتهى بجريمة قتل وحقد مرير على الكنعانيين وهذا ما أراد كتبة التوراة تسجيله .

السادس عشر : في أدب الملاحم

إن أروع ما أتى به السوري القديم في عصر البطولات هو أدب الملاحم كملحمة " أدابا " الرجل الصالح والملك " إيتانا " الذي وجد خلود الإنسان بالولد " وجلجامش " ملك " اوروك " وجد الخلود بالأعمال وثمة ملاحم أخرى مثل ملحمة " كيريت " الملك الكنعاني " وايتمركار "وغيرهم . أما أهم هذه الملاحم فهي دون تردد ملحمة " جلجامش " التي تناقلتها جميع شعوب المنطقة على مرّ العصور حتى أيامنا هذه لما فيها من دراسات نفسية عميقة مثل :

- معاقبة جلجامش من قبل الآلهة إذ أرسلت إليه إنساناً متوحشاً عله يقضي عليه أو يحد من طغيانه وظلمه .

- الصراع العنيف بين "جلجامش " والإنسان البدائي المدعو " انكيدو" دون أن تكون لأحدهما الغلبة .

- ترويض انكيدو" على يد غانية المعبد حيث لازمت " انكيدو " سبعة أيام وسبع ليالٍ حتى روضته وجعلته إنساناً سوياً وأصبح صديقاً "لجلجامش " خاض معه اصعب المحن وانتصر عليها .

- ومن ثم يموت " أنكيدو " ويحزن عليه "جلجامش " حزناً عميقاً ويخشى " جلجامش " أن يكون مصيره مثل " انكيدو " . فأمام فكرة الموت يذهب "جلجامش" إلى مقر " اوتنابيشتيم " (نوح التوراة) ليفهم منه سر الخلود فيدله " اوتنابيشتيم " على نبتة في قعر البحر ولما حاول جلجامش الحصول على هذه النبتة بواسطة ملاح " اوتنابيشتيم " تمَّ له ذلك فأخذها وعاد أدراجه إلى مملكة " أوروك " . وفي الطريق وجد ماءً فهمَّ للاغتسال فيها بعد أن وضع النبتة قرب الماء . ولكن حية كانت هناك فشمت رائحة النبتة واستلت

إلى حافة الماء وسرقت النبتة فأصبحت الحية بواسطة هذه النبتة خالدة والدليل على ذلـــك ظاهرياً تخليها عن جلدها كل سنة تجديداً لحياتها . وأما "جلجامش " بعدما علم بمـــا فعلتـــه الحية قال في نفسه إن الإنسان محكوم عليه بالموت ولا مجال هناك ليكون خالداً . فخلـــوده لا يمكن أن يكون إلا بإعماله .وفي ضوء هذا القرار رجع " جلجـــــامش " إلـــى مملكـــة " اوروك يحسن فيها معالمها ويبني سوراً اشترك هو في بنائه ويحكم بالعدل والحـــق حتـــى اصبح خالداً اسمه أبد الدهر .

وفي هذه الملحمة الكثير من العبر الفلسفية وما يتعلق منها بالصداقة ودور المـــرأة فـــي تهذيب الرجل كما فيها وصف القلق والحزن والخوف من عالم بعد المـــوت . هـــذه هـــي بإيجاز كلي ملحمة جلجامش الشهيرة وهي أدق وأعمق من كل ما جاء به "هومـــــيروس " الذي يلقبونه بأبي الملحمة في العالم بينما ملحمة " جلجامش " تسبقه بألف وخمسمائة ســـنة . ولقد آن لنا أن نكشف الغطاء عن رجالاتنا الأقدمين إحياءً لذكراهم واعتزازاً بأعمالهم .

وإلى هنا نتوقف عن شرح مهد الحضارة السورية التي اعطت العالم اغنى ما يمكـــن أن يعطيه شعب من الشعوب أعطت أمثال : "أوروكاجينا " أول مصلح اجتماعي في التـــاريخ " وحمورابي " اعظم مشرع ورجل دولة في سوريا الطبيعية، و " أبولودور الدمشقي " اشـــهر المهندسين المتفوقين على مهندسي " أثينا" و"روما " وصانع أول جسر على نهر الدانـــوب، وواضع اسس الهندسة العشرية، ومصمم اروع ساحة وأهم مكتبة وسوق في روما، وأمثـــال " بيتاغور" و " زينون " وواضعي الحقوق الرومانية " ولونجن " وزيرالملكـــــة " زنوبيـــا " ومئات الفنانين الصناعيين من ناقشي الحجر والذهب والفضة والمرمر والخشب وصـــانعي الفسيفساء وكلهم مذكورون في هذا الكتاب تحت فصل " رواد الفكر الأوائـــــل " والملـــوك والقواد الأوائل ...

إن سوريا رفعت مشعل الحرية في العالم ومشعل العلم والمعرفة ولما تزل ، وفي أيـــدي أبنائها في المغترب تلك الشعلة التي جعلت من سوريا معطية العالم كل علم وفن وفلســـــفة حتى جاز كما سبق وقلنا بلسان " اندره " بارو" مكتشف مدينة " ماري " " إن كل إنسان فـــي العالم له وطنان ، وطنه الذي يعيش فيه وسوريا.

صرح الحضارة السورية القديمة

الحاضرات الكبرى وأوائل الملوك والقواد ورواد الفكر

فوق المهد السوري الحضاري الدافيء ارتفعت صروح الحضارة السورية بكل ما فيها من رونق وعظمة وجمال . فتهافت العلماء من كل فج وصوب إلى الرقعة السورية المعروفة مؤخراً وعلى لسان العالم التاريخي الأمريكي " بريستد " بالهلال الخصيب .وما كان أشد إعجابهم بالمكتشفات الأثرية التي أماط عنها اللثام علماء التاريخ والارخيولوجيا منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى اليوم ولا يزال الحفر مستمراً . ولا تزال الآثار واللقى تبتسم لوجه الشمس تحت المعاول . وإذا بسوريا نبع غزير من الحضارة غيَّر وجه التاريخ إذْ لم يكن بين أيدي المؤرخين أكثر من كتاب التوراة يستندون إليه في أبحاثهم وإذا باللقى السورية تهزأ بما كان بين أيدي العلماء من ثوابت كما كانوا يعتقدون وإذا بالحضارة السورية تكشف القناع عن مكنوناتها فهي الينبوع الغزير الذي غرفت منه الأمم كل علم وفن وفلسفة حتى قال أحدهم وهو العالم " اندره بارو"مكتشف مدينة " ماري " : إن كل إنسان في العالم له وطنان وطنه الذي يعيش فيه وسوريا " . وإلى جانب هذا القول المأثور أقوال أخرى لعلماء كبار سنأتي على ذكرهم متى دعا الشرح إلى ذلك .والآن نبدأ بشرح معالم الحضارات السورية الكبرى وهي : أوغاريت وماري وايبلا

حاضرة أوغاريت

تاريخ حفريات أوغاريت :

إن أول معول أيقظ حضارة أوغاريت كان في نيسان ١٩٢٧ بدأ الحفر في تل يدعى " رأس شمرة " وقد كشف عن خمس مدن أو خمس سويات حضارية متراكمة بعضها فوق بعض واستمر الحفر حتى عام ١٩٣٤ ، قبل اشتعال نار الحرب العالمية الثانية . وفي عام ١٩٦٠ استأنفت بعثة " شيفر " الفرنسية أعمالها بترخيص من الحكومة السورية وكانت هذه البعثة تستأنف أعمالها في كل خريف من كل سنة وكانت مديرية الآثار العامة يزداد اهتمامها يوماً بعد يوم بالمكتشفات الحاصلة . وقد ابانت هذه المكتشفات أن أثار الفخار المكتشفة تشبه فخار سوريا الداخلية ووادي الفرات الشمالي مما يدل على أن شعوب هذه المنطقة لها ملامح متشابهة .

رأس شمرة وبلاد ما بين النهرين والحثيين والمصريين والحوريين :

يبدو جلياً أنه كانت " لرأس شمرة " علاقات مع بلاد ما بين النهرين . في الألف الرابع والقسم الأول من الألف الثالث قبل الميلاد . وكانت هذه العلاقات متأثرة بالمدينة " السومرية " "والكلدانية " بدليل أن البطل " جلجامش " كان قد اكتشف سوريا الشمالية ومن بعده الملك " سرجون " الاكادي في القرن الثامن والعشرين . وفي الثالث والعشرين قبل الميلاد والرابع والعشرين منه يبدو أن ملوك " اور" من السلالة الثالثة اهتموا بالمناطق الغربية على غرار أسلافهم البابلين . إن تأثير بلاد ما بين النهرين بدا واضحاً من الفخار المكتشف فهو فخار ناعم ، يحمل ألواناً مختلفة وهندسات ذات ألوان مختلفة : الأسمر الغامق ، والبنفسجي والأسود والأصفر الفاتح والرمادي . كما تبين أن دفن الأموات في قوارير كان مألوفاً ومنذ هذا العهد أصبحت المدينة التي عرفت باسم " اوغاريت " محط انظار رجالات اسيا والبحر المتوسط.

والجدير بالذكر هنا أن مدن الساحل السوري كانت على علاقات وثيقة مع بعضها البعض كما أن نشاط "رأس شمرة " الاقتصادي ازداد في عهد السلالة الحادية عشرة والسلالة الثانية عشرة في مصر وفي عهد " حمورابي " في العراق القديم . وفي هذا العهد بالذات أنشىء معبد "داجون " ومعبد " بعل " وفي هذا العهد أخذت المدينة اسم "اوغاريت " ويعني الحقل " كما أن الاله " داغون " يعني الحبوب وتتلاقى اللفظة في اللغة الكنعانية مع لفظة "دجن" العربية

وعلى أساس الحركة الاقتصادية في اوغاريت وموقعها التجاري استراتيجي اقامت لها علاقات واسعة مع المصريين والحثيين والحوريين والكريتيين وكانت السيطرة الكبرى في اوغاريت للمصريين والحوريين .

السلالة الملكية الأوغاريتية :

يمكن تنظيم قائمة ملوك سلالة أوغاريت على الوجه التالي :

نقمد الأول القرن الثامن عشر أو التاسع عشر ق.م .

باقاروم الثاني

ايبرا القرن الخامس عشر

باقاروم الثاني

اميستمار الأول

نقمد الثاني منتصف القرن الرابع عشر .ق . م .

ارحالبا ، نقمبا القسم الأخير من القرن الرابع عشر. ق . م .

امستمار الثاني النصف الأول من القرن الثالث عشر .

امبيرانا

نقمد الثالث

حمورابي (غير حمورابي ما بين النهرين)

هـــدم أوغاريت

يتضح من كتاب اشوري وجد في رأس شمرة أن بلاد اوغاريت كانت تحكمها ملكة في القرن الثالث عشر . ق. م . كما يستدل من الكتاب المذكور أن اوغاريت كانت على علاقات وثيقة مع بلاد " اشور " وفي هذه الأنباء أي في نهاية القرن الثالث عشر وبدء الثاني عشر غزت شعوب البحر مدينة اوغاريت آتية من البلقان والسواحل اليونانية واستولوا على المدينة وهدموها ومن ثم تابعوا مسيرهم نحو الجنوب .

بعد هدم أوغاريت

استمر موقع اوغاريت مرفأ ناشطاً للتجارة اليونانية بالدرجة الأولى في القرن السادس عشر والقرن الخامس .

مرونة الملك "نقمد الثاني" في السياسة :

سبق وذكرنا أن علاقة اوغاريت بالفراعنة والحثيين كانت متينة .وقد رأى الملك " نقمد " أن من مصلحة مملكته المحافظة على هذه العلاقة المزدوجة ، إلى حد أن بعض الرسائل كانت تعنون بعنوان " الملك الشمس " ومن المعروف أن هذه الصفة كانت تنطبق على الملك الحثي وعلى " فرعون " على السواء فإذا ضاعت رسالة بهذا العنوان فلايعرف ما إذا كان لقب " الملك الشمس " يعني فرعون أو الملك الحثي . هذه الحكمة في السياسة أبقت اوغاريت بعيدة عن الصراع الحثي الفرعوني . وهذا ما أوصى به الملك خلفاءه .

حتى أن زواجه من أميرة مصرية لم يمنعه من تأدية الجزية إلى جيرانه في الشمال ، الحثيين . وهذا ما دعم استقرار ملكهم فترة طويلة .وازداد ازدهار أوغاريت بعد معركة قادش بين الحثيين والمصريين في عام ، ١٢٧٦ ق. م . وقد ظهر هذا الازدهار في مفروشات المدافىء العائليةالعائده إلى القرن الثالث عشر .كما أن اوغاريت قد ازدهرت أيضاً بفعل تعاملها مع الإيجيين والقبرصيين منذ بدء الألف الثاني ومع مصر منذ القرن الخامس عشر كمستعمرة مصرية .

هدم أوغاريت :

تبين في الكتابات الأشورية أن اوغاريت كانت تحكمها ملكة في القرن الثالث عشر كما كانت لها علاقات وثيقة مع آشور .

والذي قضى على أوغاريت كان بفعل هجوم "شعوب البحر " عليها في نهاية القرن الثالث عشر وبدء الثاني عشر . وقد جاءت هذه الشعوب عن طريق البلقان والسواحل الشمالية من البحر الأسود وقد التحمت معها شعوب البلاد اليونانية فانطلقت واحتلت " أوغاريت وهدمتها ثم تابعت سيرها نحو الجنوب .

لم يبقَ تل رأس شمره بعد هدم اوغاريت قفراً بل استمر مركزاً تجارياً تحت أيدي اليونانيين والايجيين وغيرهم ممن سكنوا اوغاريت . وقد تأيد ذلك بوجود عملة فينيقية من ارواد يعود تاريخها إلى ١٢٥٠ قبل الميلاد ومدافن يونانية من عهد السلوقيين وعدد وفير من قطع العملة الرومانية وبعض القطع العربية والتركية وجدت كلها على سطح التل .

الحضارة الاوغاريتية :

البلاط : دلت اللقى الأثرية أن سلطة ملك اوغاريت كانت مطلقة ، فهو الرئيس السياسي والعسكري معاً . إن سعة القصر واللقى التي وجدت فيه تدل على العظمة وتدل على ذلك الصفائح الذهبية الكبيرة والكثيرة من المفروشات المحروقة . وقد وجدت بين الرماد أوان ذهبية كثيرة وبقايا صناديق صغيرة من العاج وأوان من اللازورد وعدد كبير من الصناديق الصغيرة المصنوعة من الرخام الملون والعقيق وغيرها مثل رخام الديوريت المرسل من مصر إلى ملك اوغاريت والعديد من الكراسي المذهبة .

أما الملكة فكان لها دور هام جداً في البلاط بدلالة الكتب الموجهة إليها من قبل بعض الشخصيات يطلبون وساطتها لدى جلالة الملك .وأما فيما يتعلق بثيابها وحلاها فتدل المعلومات على حياة البذخ . ولقد دلت مفردات حلى الملكة أخت " ملكو " على وجود عقود ذهبية مرصعة بأحجار كريمة وخلاخل وأساور وكأس من الذهب وكؤوس من الفضة وزنانير من الذهب وعشرين علبة تبرج .... الخ.

هذا وقد كان الملك يعاقب المسيئين في البلاط بقسوة شديدة والأمثلة على ذلك كثيرة وكلها وجدت مدونة .

التنظيم العسكري :

كانت أوغاريت تخشى الغارات المفاجئة عليها سواء من قبل الحثيين أوالمصريين أو من قبل قراصنة البحر ولذلك أقامت حصناً في أوغاريت يطل على البحر يحمي المدينة وخاصة القصر . وكان هذا الحصن موضوعاً تحت قيادة حاكم عسكري . ولقد وجدت في الحصن أدوات حرب عديدة مثل مقاليع وأقواس وسهام ودرع يسمى " السيربون "

وكانت الجياد محصنة بدروع محرشفة والعربات تتألق بفعل تصفيحها بالذهب . وذكر في إحدى الكتابات أن الملك طلب دفعة واحدة ألفي جواد مما يدل على أهمية الجياد في الجيش الأوغاريتي .

التشريع الأوغاريتي :

لم تظهر حتى الآن نصوص حقوقية بالمعنى الصحيح على غرار ما جاء في بلاد ما بين النهرين مثل قانون "لبث عشتار" وقانون "اشنونا" وقانون "حمورابي " إلا أن ما تم الكشف عنه من قوانين " اوغاريت " يصور التقاليد الحقوقية فقط. إنَّ النصوص الحقوقية لاوغاريت دُونت باللغة الاكادية وليس الاوغاريتية وكان ذلك في الألف الثاني ق.م . وهي اللغة الدبلوماسية والحقوقية في الشرق الأدنى.

وأما النصوص الاوغاريتية المكتشفه فيمكن تصنيفها كما يلي :

- الصكوك والعقود الجارية أمام شهود
- الصكوك التجارية أمام الملك
- صكوك الملك نفسه وهي بمثابة مراسيم

وأماالصكوك والعقود الجارية فتشمل :

- الوصية
- عقد المبيع
- عتق عبد
- التبني
- المبيع
- تسوية إرث
- الصك الملكي

وقد وجدت نصوص هذه الصكوك كاملة لكل عقد .

الحياة الاقتصادية :

سبق وذكرنا أن أهمية اوغاريت التجارية كانت كبيرة جداً في مصر أو بحر ايجـــي أو الشرق الأوسط لدى الحثيين وغيرهم فقامت فيها عدة صناعات منها :

- نقابة مندوبي الفضة
- صناعة الأسلحة
- الأواني البرونزية
- الأسلحة
- نقابة الصناعات المعدنية
- نقابة صانعي العربات
- صناعة البرفير والفخار
- صناعة الزيت والنبيذ

الفنون

إن الفن السوري كما ظهر في أوغاريت في الألف الثاني ق.م . تأثر بالفن المصـــــري وبفن العالم الإيجي دون أن يتنكر لأصله الآسيوي .

ومن الصعب تعداد جميع القطع الفنية التي عثر عليها ولذلك نكتفي بذكر بعضها :

- صحن ذهبي ويدل على تآلف بين الفن السوري والإيجي
- تمتاز الباز مستوحى من الفن المصري وهو مصنوع من البرونز المطعـم بـــالذهب

ومن القطع المستوحات من الفن الإيجي :

- أواني الشرب بشكل قرن أو رأس حيوان

– القناعات النسائية على الكؤوس الخزفية الملونة

– إلهة الخصب الجميلة المنقوشة على غطاء حلى عاجية

– لوحة عاجية كبيرة تعود إلى الشرق الأدنى أو مصر يبلغ عرضها متراً واحداً وعلوها نصف المتر .

ويدل الفن الأوغاريتي على أصالة مميزة فبالرغم من التأثيرات المصرية والبابلية والايجية حافظ فنانو أوغاريت على مهارتهم الخاصة

الدين :

في الألف الثاني قبل الميلاد كان دين الفينيقين واحداً من جنوب فلسطين حتى شمال سوريا بما فيها أوغاريت .

إن آلهة اوغاريت كانت كما يلي :

– الإله " ايل " سيد الآلهة وخالق الخليقة ذو الحكمة الكلية وزعيم الآلهة إنه زعيم السلام والمحبة ولذلك قال الغربيون أن الكنعانيين دقوا أبواب التوحيد .

– " بعل " هو إله العواطف والأمطار وبنوع خاص إله الخصب وإله الحرب أيضاً

– " اليان بعل " إله الينابيع

– " موت " إله الحصاد

– " داغون أو داجون " مخترع الحنطة والمحراث

– " اشيره " شريكة " ايل وبعل "

– " عنات " أخت بعل الآلهة العذراء المحاربة وإلهة الخصب

– " عشتروت " إلهة الحب والخصب وهي عند اليونانيين " الزهرة "

هذا ولم تتنكر أوغاريت إلى بعض الآلهة الغربية

الآداب : إن القصائد التي عثر عليها تدل على مواهب شعراء أوغاريت الأدبية فضلاً عن الكشف عن ديانة الفينيقيين .

وأما الأعمال الأدبية التي تم الكشف عنها فنلخصها كما يلي :

١. أسطورة " كيريت "

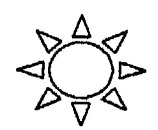
٢. اسطورة الملك " دانيال "
٣. اسطورة " بعل " الكبرى
٤. اسطورة " بعل وأمير البحر "
٥. ولادة الآلهة الظريفين والجميلين
٦. نشيد الآله " نيكال " والآلهات كوزاروت
٧. منتخبات شعرية

هذا ومن الواضح أن فصل الأداب هذا يتطلب دراسة مطولة لاتتفق مع مضمون هـــذا الكتاب .

أبجدية أوغاريت :

والآن نصل إلى أعظم ما أنتجته أوغاريت ألا وهو الأبجدية ذات الثلاثين حرفــاً فقــط لبت جميع حاجات الكتاب، وقد تبنى العالم أجمع هذه الكتابة حتى اليــوم واعتــبر علمــاء الغرب هذه الأبجدية أنها "خلق مفاجئ" أعطى البشرية أعظم ما يمكن فــي حقــل الكتابــة والتدوين، ويقال أن علماء أوربا عيدوا يوماً كاملا احتراماً إلى ابــن أوغــاريت الســوري الذي اخترع الأبجدية. وعندما تم الكشف عن قراءة هذه الأبجدية ساعد ذلك علــى قــراءة العديد من الكتابات الأوغارتية ومنها :

الملاحم والكتابات المتعلقة بالحسابات والكتابات المدرســية، ولوائــح بأســماء أعــلام ولوحات تاريخية تسلسلية وأبحاث علمية وكتابــات تتعلــق بممارســة الطقــوس الدينيــة ونصوص هجائية ونصوص رسمية ومحفوظات دبلوماسية ومستندات تجارية ونصــوص تتعلق بالتنظيم العسكري، لوائح بأسماء المدن والقرى والأشهُر التي لم تكن معروفــة فــي بلاد ما بين النهرين وهي: مجمر، بجرم، رزين، نفل، هلت، جن اسب وهيــار وتســريت وهما اليوم أيار وتشرين.



الحاضرة الثانية الكبرى" ايبلا " :

كانت البادية السورية الممتدة من الفرات إلى حدود بلاد الشام الشرقية تشكل هاجساً لدى علماء الآثار لاعتقادهم بأن هذه البادية تصحرت إلى حد ما عبر الزمن ولابد أنها كانت عامرة في يوم من الأيام. ولقد سئل ذات يوم البروفيسور" كلود شيفر" مكتشف مدينة"أوغاريت" أين يتمنى أن يقضي آخر أيامه فأجاب " أتمنى أن يكون ذلك في البادية السورية أو ما نسميه حتى الآن : " بالصفحات البيضاء" ويعني بذلك أن البادية خالية من أي أثر تاريخي حتى الآن .

إن أمنية " كلود شيفر" قد تحقق قسم منها المتعلق بالصفحات البيضاء إذّ تبين أنها فعلا ليست بيضاء وذلك باكتشاف مدينة " إيبلا " التي غيرت وجه التاريخ أما" كلود شيفر" فلم تساعده الحياة على العمل في هذه البادية إذّ كان ذلك من حظ العالم" باولو ماتيه" الايطالي.

عمليات التنقيب في موقع" ايبلا "

تقع " ايبلا " قريباً من بلدة "سراقب " تبعد ستين كيلو متراً عن حلب، فوق تل يدعى محلياً" تل مرديخ". بدأت عمليات التنقيب في" تل مرديخ" منذ عام ١٩٦٤ . وحققت مايلي:

بين ١٩٦٤-١٩٦٨ تمّ الكشف عن البوابة الجنوبية الغربية لسور المدينة إنها بوابة ضخمة يبلغ طولها ٤٥ متراً مبنية من الحجر.

كما تم الكشف عن عدد من المساكن والمعابد والقصر الملكي.

وفي عام ١٩٦٨ تم الكشف عن حوضين مزينين بمنحوتات طقسية يرجع عهدهما إلى حوالي ١٤٥٥-١٨٥٥ قبل الميلاد.

اللقى الأولى :

في عام ١٩٦٨ تم العثور على تمثال رجل بين أنقاض المدينة المرتفعة، كما وجد على كتف التمثال كتابات بالأحرف المسمارية واللغة الأكادية تفسيرها:" يقدم نذراً (أب- بيت- ليم) ابن (أج- ريش) أو"بجرش" تمثاله إلى معبد " عشتار".

إن هذه الكتابة دلت باليقين على موقع"تل مرديخ" فهو موقع "إيبلا" المعروف اسمها في عهد سرجون الأكادي وحفيده "نارام سين" الذي دمرّ مدينة"إيبلا" حوالي عام ٢٢٥٠ق.م ويفتخر " نارام سين" بأنه فتح مدينة" إيبلا " ومدينة " ارمان ، اللتين لم يسبق أن فتحهما إنسان منذ الخليقة "

إذن هذه هي مدينة "إيبلا " التي غابت عن الوجود حتى اليوم شأن مدينة "أكاد" التي لاتزال مجهولة الموقع حتى الآن .

وتستمر أعمال التنقيب في تل" مرديخ" حتى عام ١٩٧٣ كما يستمر العثور على اللقى التي تعود إليها حتى حوالي عام ١٨٥٠ق.م.

مراحل إيبلا التاريخية :

بنتيجة الحفريات تبين أن " إيبلا " مرت بمرحلتين :

الأولى من ٢٤٠٠ – ٢٢٥٠ والثانية من ٢٠٠٠ إلى ١٨٢٠ ق.م انتهت المرحلة الأولى على يد " نارام سين" وأما الثانية فقد انتهت في عهد" حمورابي".

الآثار المكتشفة :

القصر الملكي : بين عامي ١٩٧٥و١٩٧٤ عثر على معالم معمارية ضخمة ومحفوظة جيداً في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة المرتفعة وبنتيجة فحص الكُسر الفخارية تبين أنه يرجع تاريخها إلى الألف الثالث ق.م وهي الفترة المعاصرة للأسرة الأكادية .

ومن قراءة الرقم تبين أن القصر الملكي أصابه الدمار والحريق وذلك حوالي عام ٢٢٥٠ق.م

الكنوز التي كشف عنها من القصر الملكي :

كشفت أعمال التنقيب عن هدم القصر الملكي عام ٢٢٢٠كما سبق وذكرنا وهو مؤلف من باحة سماوية محاطة بأروقة ولعلها قاعة استقبال، ويحيط بالقصر جدار بخمسة عشر متراً له ثلاثة مداخل أحدها يؤدي إلى مصطبة شرف يجلس فيها الملك.

وفي إحدى غرف القصر عثر على آلاف الرقم الطينية وقد وجدت في خمسة محلات:

١. المكتبة وعدد الرقم فيها حوالي ١٥٠٠٠ رقيم وكسرة. ذات موضوعات تجارية واقتصادية وإدارية وتاريخية ومعجمية وأدبية.

٢. المخزن وقد عثر على ألف رقيم تتضمن موضوعاتها أموراً ادارية تتعلق بتوزيع المؤن على الرسل والممثلين.

٣. غرفة وفيها ٥٠٠ رقيم ذات موضوعات اقتصادية وتاريخية

٤. حجرة في المنطقة الجنوبية من القصر وفيها ٤٠٠ رقيم اقتصادي وتتعلق بصورة خاصة بالزراعة وتربية المواشي.

٥. الحجرة رقم ٢ في المنطقة الشمالية من القصر الملكي وفيها ٤٠ رقيما بموضوعات اقتصادية.

وأما الحريق الذي داهم القصر فقد سبب تخفيف حدة الرقم وجعلها صلبة كالقرميد وكان ذلك سبب حفظها سالمة.

وإليكم بعض أوصاف الرقم المكتشفة :

١- أصبحت اللوحات الفخارية بفعل الحريق صلبة كالقرميد.

٢- بلغ عدد الألواح واجزائها ١٥٠٠٠ وبحالة سليمة.

٣- أحجام الرقم مختلفة يصل طول الكبير منها إلى ٤٠ سنتمتراً.

٤- كانت الألواح منسقة على مكتبات خشبية يبلغ عمقها ٨٠ سم. وارتفاعها ٥٠سم

٥- كتبت الألواح بالكتابة المسمارية التي أوجدها السومريون والتي تطورت وانتشرت في سوريا وكانت أوغاريت أول من نظم هذه الكتابة على أساس الحروف الهجائية وليس على أساس صورة الكلمة.

٦- وأما اللغة فتمثل أقدم لغة عربية معروفة وتعتبر بوجه عام إحدى ثلاث لهجات كانت معاصرة : الأكادية في الرافدين والايبلائية في سوريا الداخلية والكنعانية

في الساحل السوري التي تتضمن اللهجة الأوغاريتية والفينيقية وبالاضافة إلى هذه المصطلحات كانت السومرية.

وكانت هذه اللغة الأخيرة أي السومرية هي لغة المنطقة الدبلوماسية وتتميز بمايلي:

١- أنها أقدم لغة عربية معروفة ومكتوبة بالمسمارية حتى الآن باستثناء اللغة الأكادية الشرقية.

٢- إنها لهجة من اللهجات القديمة وتتضمن نفس القواعد إنما خالية من الأفعال الزمنية الماضي والحاضر والمستقبل.

٣- إن كلماتها غير واردة في المعجم الأكادي.

٤- تعتبر كل اللهجات المنتشرة في الشمال الغربي في سوريا هي لهجات عمورية ذات مسحة إيبلائية.

٥- إن اللهجة الإيبلائية مزيج من اللهجات البدوية والحضرية في المنطقة

وأما مواضيع هذه الكتابات فمختلفة وهي من :

- أوامر ملكية وتقارير موظفين حول أوضاع الدولة
- معاهدات وأحلاف دولية ومواثيق
- ألواح تعليمية
- نصوص تجارية
- نصوص أدبية
- نصوص تاريخية تعود إلى ما قبل عام ٢٢٥٠ من مصرية ورافدية.
- نصوص جغرافية تتضمن مئات المدن التي مازال بعضها قائماً حتى الآن مع أسماء سلالة الملوك المتعاقبة على إيبلا.
- معلومات عن الديانة المتعددة الآلهة
- معلومات عن الحياة الاجتماعية والعادات. منها أن أحد الملوك كان له ٣٨ ولداً وأن اغتصاب العذراء هو الموت وأن المرأة خلقت من الضلع السادس للرجل وتُمثّل بالحية والطرد من الجنة هذا وإن الأفكار الرئيسية لقصص الخلق كانت أساساً للروايات التوراتية وأما الكاهن فيمارس السلطة القضائية المطلقة ويصدر الأحكام .

أهمية ألواح إيبلا المكتشفة :

١- إنها تتضمن معجم لفظي بين لغتين الآشورية والسومرية يرجع تاريخ المعجم إلى عام ٢٣٠٠ ق.م . وقد ساعد هذا المعجم على تفسير الكثير من الألفاظ السومرية التي لم تكن معروفة قبل اكتشاف " إيبلا "

٢- تعتبر "إيبلا" أول من طور نظام الكتابة المسمارية

٣- دلت الرقم على اقدم تحالف وقع بين" إيبلا" "وآشور"

٤- إن لغة إيبلا تمثل أقدم لهجة عربية سومرية وهي لهجة عمورية

٥- وهي تعتبر أقدم تعديل طرأ على الكتابة السومرية

٦- أضخم كنز أثري تاريخي عثر عليه في مكتبة واحدة حتى الآن.

معلومات تاريخية :

تبين أن مدينة " إيبلا " استمرت قائمة بالرغم من الأحداث القاسية حتى عام ٢٢٥٠ق.م وذلك منذ عام ٢٤٠٠ق.م كمايلي:

من ٢٤٠٠-٢٢٥٠ كانت مركزاً عظيماً يحتل المركز الثالث بعد مصر والرافدين

ومن ٢٠٠٠-١٨٠٠ كانت مركزاً حضارياً هاماً في شمالي سوريا. حيث بلغت "إيبلا" السياسية أوجها فسيطرت على المنطقة، وكانت أوسع نفوذاً من مملكة حلب خلال حكم "شماش" حدد الأول وفي بابل أيام حمورايي

تعاقب الملوك على إيبلا

١- الملك" أغر يش- حلم" ٢٥٠٠ وهو الذي أنشأ القصر عام ٢٤٠٠

٢- الملك" آركب-دامو"ووصل نفوذه حتى إيران

٣- الملك" آرساينوم ٢٣٤٠: في عهده أصبحت: ماري: تابعة "لإيبلا"

٤- الملك" أبيروم معاصر للملك الأكادي"سرجون"

٥- الملك" أبي سبيش" عادت في عهده إيبلا للظهور كدولة قوية.

٦- الملك "أبن زيكو" وهو معاصر لحمورابي ١٨٥٠ق.م

معلومات جغرافية عن مدن سورية مازالت موجودة :

لقد عثر في كتابات إيبلا على معلومات حول مدن هامة بعضها انقرض مثل ثمود وعاد وارم وبعضها مازال قائماً مثل

- دمشق واسمها القديم " ديماشكي "
- حمص واسمها القديم " ايمسا "
- حماه واسمها القديم" ايماة "
- المشرفة واسمها القديم قطنا
- رأس شمرة واسمها القديم"أوغريت كما ورد الاسم
- تل حريري واسمها القديم ماري
- كركميش وتل عطشانه واسمها القديم" ألالاخ" وقد أصبح اسمها في العهد السلوقي" أنطاكية"
- جبيل وتل البيعة واسمها القديم" توتول "وهناك مايقارب ١٢٠٠٠ اسم مدينة لم نعرف حتى الآن .

معلومات عامة وتاريخية عن إيبلا :

يقول الأستاذ "ماتيه" رئيس البعثة الإيطالية:" لقد حققت إيبلا وثائق ذات ثروة كبيرة أضيفت إلى معارفنا عن الشرق الأدنى، في الألف الثالث قبل الميلاد وقد شهدت هذه الفترة بناء الأهرامات في مصر أو ما يسمى بعصر الملوك وشهدت الحضارة السومرية والأكادية في الرافدين "

بلغت سيطرة إيبلا حداً واسعاً بحيث أصبحت مركزاً لإمبراطورية شاسعة الأطراف. فكانت حلب تابعة ويعين حاكمها ملك " إيبلا " على أن يكون من مواطني"إيبلا:. كما أن جبيل على الساحل السوري يدير شوؤنها حاكم من أبناء البلاد يعينه ملك "إيبلا".

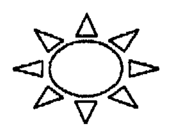
كما كانت "لأبيلا سيطرة على آشور كما يتضح ذلك من نصوص المعاهدة التي عثر عليها والتي ذكرت أن "إيبلا" حققت انتصارين على دولة"ماري" للسيطرة على الطرق التجارية والمائية وعلى " أكاد" في سبيل احتكار تجارة المعادن المستخرجة من الأناضول وتجارة الخشب ومصدره فينيقيا. كما أخضعت أكاد لدفع الجزية إلى ملوك " إيبلا ".

وأما إدارة الحكم في إيبلا فكانت بيد مجموعة ملوك والملكات كما كان ولي العهد يدير القضايا الداخلية. بينما يدير الأمير الثاني السياسة الخارجية.

وأما الملوك فيتخذون لهم زوجات عدة وقد رزق أحد الملوك ثمانية وثلاثين ولداً

العبادات :

نفس عبادات بلاد ما بين النهرين وسوريا الطبيعية مما يدل على وحدة الحضارة السورية.



حاضرة ماري

ننتقل الآن إلى الحاضرة المميزة " ماري" إنها واقفة على تل"حريري" قرب مدينة" أبـــو كمال". ولقد كشف عن أثارها العالم أندره باري" واشـــتهرت بقصرهـــا العظيـــم وإليكـــم بمواصفاته.

القصر الملكي : يعتبر قصر"ماري" إحدى عجائب العالم إذا ما قيس بـــالزمن الســـحيق في القدم. تبلغ مساحة القصر ٢٥٠٠٠م٢ مؤلف من قطعة واحدة. فهو كما يقـــول علمـــاء التنقيب مدينة في قلب مدينة.

يضم القصر ٣٠٠ غرفة وباحة واسعة كما توجد فيه قاعة للجلسات يستقبل فيها الملـــك المراجعين، فكانت اتصالاته بالمواطنين متواصلة ومباشرة

إن وسائل الراحة والنظافة التي وجدت في القصر تؤيد مـــا قالـــه الأســـتاذ " جـــورج دوسان" في إحدى محاضراته في مدينة" ليبج" (بلجيكا)

حيث قال : " كان السوريون منذ ٤٠٠٠ سنه يأخذون حماماتهم في المغاطس التي لـــم تعرفها قصورنا" قبل قصر فرساي" حتى القرن السابع عشر ميلادي"

المدارس : تم الكشف عن وجود مدرستين يقول فيها العالم" أندره بارو" مكتشف"مـــاري" مايلي: لا غرابة أن يخصص ملوك " ماري" في القصر الذي وجد فيه هذا العدد الضخـــم من اللوحات المكتوبة مكاناً لأعداد أولئك الذين سيتولون مهمة القراءة والكتابة " فمدرســـة" ماري" إذن كانت على حدود زمن مدرسة " سومر" التي تعتبر أول مدرسة في العالم.

مهارة أهل " ماري" ودقتهم :

تمَّ الكشف عن أقنية داخل القصر من أجل تصريف المياه، في مختلف أقسامه. وأكـــبر دليل على ذلك ما جاء على لسان العالم " أندره بارو" فـــي إحـــدى مراياتـــه وملخصـــها كمايلي:" أن عاصفة شديدة اجتاحت مدينة "ماري" بينما كـــان العمـــال يقومـــون بـــالحفر والتنقيب. فاضطر هؤلاء العمال إلى اللجوء إلى مكان ما في قرية"أبو كمال" ولقد خشـــيت البعثة أن تجرف مياه الأمطار الغزيرة مواقع الحفر فتضيع معالم ما أنجزه العمـــال قبـــل العاصفة. ولكن دهشة عمال الحفر كانت عظيمة إذْ رأوا أن المياه التي هطلت بغزارة لـــم تغير في شيء من أثار الحفر لأن هذه المياه تسربت في أقنية من داخـــل غـــرف القصـــر

مصنوعة خصيصاً لهذه الغاية. إن أقنية تصريف المياه بقيت صالحة للقيام بوظفيتها لغاية الكشف عنها أي بعد أربعة آلاف عام.

سجلات ماري :

بلغ عدد سجلات "ماري" الملكية ٢٥٠٠٠ لوح مختصة في كل ناحية من نواحي القصر وموضوعة في خزائن جدارية. وتشمل هذه السجلات الوثائق الاقتصادية والادارية والسياسية، ولقد تم تكليف الأستاذ "جورج دوسان" بترجمة هذه الرقم فانجر حتى عام ١٩٦٧ أربعة عشر مجلداً. ولقد علق الأستاذ "أندره بارو" على ذلك بقوله:"كان ذلك بداية لمشروع لا يزال بعيداً عن الإنجاز وسنرتكب خطأ كبيراً إن لم نذهب حتى النهاية في الكشف عن هذا المنجم واستغلاله وبذلك سوف يتجدد تاريخ وجغرافية الشرق الأدنى بكامله؟

السجلات السياسية :

تبين في السجلات السياسية أنه كان لمملكة "ماري" سفراء لدى كل دول المنطقة ومنهم سفير "بابل" و"كركميش" و"حلب" وسفير لدى"حمورابي" وغيرهم كثيرون وقد عرفت أسماؤهم من السجلات الملكية. وفيما يتعلق بقيمة هذه السجلات ودقتها علق على ذلك العالم "ثورو دانجان" على أحدها بقوله" إن هذه الرسالة تُعد من أدق الرسائل الدبلوماسية في الألف الثاني ق.م لو غيرنا فيها الأسماء فقط لأمكننا القول أنها رسالة مبعوثة من قبل إحدى سفاراتنا في الخارج في القرن العشرين".

وتدل هذه السجلات على أن مسؤولية الملك كبيرة فكان يتدخل في كل ما يحدث في مملكته. وعلى سبيل المثال كان الملك "زمري ليم" يهتم في تفاصيل كل أمر. وكانت المحكمة الملكية تعقد في القصر الملكي والضريبة التي يجمعها الجباة تسلَّم بحضور الملك. وكان يتلقى الملك طلبات بدون انقطاع مثل إصلاح جدار مهدم أو إرسال طبيب لعلاج حالة التهاب أذن على بعد مائة كيلو متر من ماري أو الأمر بتعزيل قناة مسدودة أو ترقيم تصدع جدار أو مكافحة موجة حر. إلى آخر ما هنالك من مهمات كشفت عنها السجلات الملكية مما يدل على اهتمام الملك شخصياً بأمور رعيته.

دور المرأة :

أما دور المرأة فكان هاماً في بلاط ماري إذْ كانت الملكة"شيبتو" بنت ملك حلب تحتــل مركز الصدارة فكان الملك"زمري ليم" يعتبرها وكيلة عنه بكل ما في الكلمة مــن معنــى. فكانت تستعمل ختمها الأسطواني وهو يحمل الكتابة التالية: "شيبتو" بنــت "يــاريم –ليـم" زوجة "زمري–ليم" وتضعه على بعض الأبواب والرسائل والمستودعات فهي كمــا يقــول العالم "أندره بارو" مكتشف مدينة ماري" " أنها تتمتع بسلطة الأمراء كما أنــها فــي نفـس الوقت تقوم بمركز"سيدة بيت" وتشغل بكل جدارة أمور العرش في غياب زوجها.

العبادات :

إن عبادات ماري هي نفس عبادات منطقة بلاد ما بين النهرين وسوريا الطبيعية.

لمحة خاصة : وقد تبين أن مدينة"ماري" كانت تسمى" ماركي" ومعناهــا باللغــة الاكاديــة "أرض الزوابع" لأن لفظة : كي" بالاكادية أرض" ومار" اله الزوابع. ويوجد موقع بــالقرب من "ماري" تحت اسم: سودا. ومن المصادفات الغريبة أنه يوجــد نــهر علــى الســاحل السوري يقع في منتصف الطريق المؤدية من مدينة طرطوس إلى مدينة "بانيــاس" يدعــى "نهر مرقيه" وذلك نسبة إلى موقع أثري قديم في قرية الخراب على الساحل الواقعة بيــن " نهر مرقيه" وبانياس. ويستنتج أن اسم النهر نسبة إلى موقع "مرقيه" الممكن ارجــاع اسـم هذا الموقع إلى ماري.

ومن غرائب الأمور أنه توجد تربة بين مرقيه وطرطوس تدعى "السودا" وهــو نفـس الاسم الوارد على الخريطة قرب ماري. كما توجد قرية على بعد ثلاثة كيلو مــترات مــن السودا اسمها زمرين أي"زمريليم" ؟ من يدري؟

ومن المعلوم تاريخياً أنه كانت لمدينة ماري قوافل تجارية خــط منــها يعــبر ســوريا الداخلية وخط آخر الشاطئ السوري.

فهل يا ترى خط قوافل الشاطئ السوري كان يتمركز في سيره في محلة"مارقية" وقــد نسب النهر إلى اسمها؟ وزيادة في الوصــف أن موقــع " الخــراب " الحــالي مشـهور بالعواصف الهوجاء التي تحتاج من حين إلى آخر الشاطئ. فهل لذلك علاقة باسم "مــاري" القديم أي" ماركي" أرض الزوابع.

إن مصلحة الآثار وحدها قد تكشف عن تاريخ هذه المواقع بالإضافة إلى ما كتبنا حتى الآن عن الحاضرات السورية الكبرى فإن كتاباتنا هذه لا تدل إلا على النزر القليل من حضارتنا التي تسربت من بين أيدينا، ونسب القسم الكبير منها إلى الغير مثل اليونان والرومان. وفي هذا الموضوع كتب الدكتور جورج حداد أستاذ التاريخ في الجامعة السورية واليوم في الولايات المتحدة الأميركية مايلي:"مرت على سوريا عصور اضطر أبناؤها أن يكتبوا بغير لغتهم حتى إن أسماءهم أصبحت يونانية ورومانية. فلم تمنعهم صعوبة اللغة الجديدة من القيام بواجبهم، بل بالعكس وضعوا فيها أمهات المؤلفات على نحو ما في العصرين اليوناني والروماني فدخلت آثارهم في تراث الأمم الأخرى واحتوتها الكتب على أساس أنها جزء من تاريخ الفكر اليوناني والروماني، ولم يبقَ منها ما يذكرنا بأنها سورية سوى أصل أصحابها وانتسابهم إلى سوريا". إننا في هذا الملف سوف نأتي على أهم التراثيين السوريين من ملوك وقواد ورواد فكر إحياءً لذكرى أمجادنا وأمجاد من سبقونا على درب الحضارة الإنسانية الكبرى.

الفن العموري :

نعتمد حتى الآن لفظة "عموري" للدلالة إثنياً على الشعب الذي سكن العراق ومنه الملك "حمورابي" أكبر مشرع عرفه التاريخ القديم. إن حقيقة أصل العموريين أو الأموريين هوانهم كنعانيون سكنوا غربي العراق في الشريط الداخلي في بلاد الشام أطلق عليهم اسم عموريين أو "أموريين" أي سكان الغرب ويعنون بذلك غربي العراق فاللفظه أذن هي مصطلح جغرافي وليس سلالي. ولقد تنبه العراقيون إلى هذا الإلتباس فبدأوا يسمونهم "الأموريين" الكنعانيين الشرقيين فاقتضى في هذا الفصل من الدارسة تصحيح ما يلزم. فهم إذاً إحدى موجات : الجزيرة العربية التي نزحت إلى سوريا الطبيعية مع الاكاديين وانتشرت فيها سواء في بلاد الشام أو بلاد ما بين النهرين في الزمن اللاحق. أما مدينتهم الشهيرة في سوريا الطبيعية فهي مدينة "ماري" التي مرت معنا في هذه الدارسة.

أما الإطار العام الذي نشأت فيه حضارة العموريين أو "الكنعانيين الشرقيين" فيتميز بالعوامل الطبيعية التي أثرت في الفن الأموري وتطوره كما يلي:

١- إن الإقليم بفروقه الحرارية ومجاورته إلى الصحراء ونوع تربته الطينية مع ندرة الحجر، جعلت الفن يتجه اتجاهاً قاسياً ويتخذ من مادة الطين والرسوم الجدارية الملونة، فمادتها الأساسية الطين، كما أن فن الكتابة اعتمد اللوحات الطينية في تسجيل كتاباتهم عليها على غرار كل كتابات سوريا الطبيعية.

٢- كما أن للدين تأثيره فالحياة الإنسانية بأشكالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في ذلك العصر، كان محورها الدين من حيث تعدد الآلهة وتمجيدها وبناء المعابد ومنها الزيقورات وتقديم النذوز والذبائح وإقامة الاحتفالات الرسمية من قبل الملوك.

٣- والفن العموري لم يكن فناً جامداً بل كان سمحاً عالمياً بالنسبة لعصره فكان بالنسبة لجواره فن أخذ وعطاء مستمرين.

٤- والفن العموري واقعي محافظ على التقاليد والدين، في تمثيل الأشخاص المرأة والرجل وتمثيل الآلهة بأشخاص وفي تمثيل الحياة الزراعية بأشجارها وأرضها وحيواناتها .

في صناعة الطين

بقي الفخار حتى ظهور الكتابة المصدر الوحيد لإمدادنا بالمعلومات التاريخية الحضارية بكل الشرق القديم. والطين وهو المادة الأولية التي يمكن للإنسان أن يحصل عليها تتناسب وصحة استعمالها كبداية للفن بالإضافة إلى الرمل والكلس الناعم والقش. وكان كل شيء في البدء يصنع باليد ثم حصل تقدم جديد وهو "الدوران" حيث توضع كتلة الصلصال فوق حاملة يمكن أن تدور ببطء بواسطة اليد. وأما الدولاب فلم يظهر إلا بعد زمن طويل. وكان لاختراعه شأن عظيم في تطور صناعة الفخار ولا يزال هذا الكشف العظيم في خدمة الإنسان حتى يومنا هذا.

وقد عثر العلماء في بلاد ما بين النهرين وبالتحديد في بلاد "آشور" على وصفه تبين أنها وصفة في عملية طلاء الفخار بالخزف ولدى تجربة هذه الوصفة اتضح أنها بالفعل خزف لطلاء الفخار وكان ذلك في الألفين قبل الميلاد ومن هناك دخل الخزف في صناعة الفخار وتعمم.

وأعطتنا مدينة "ماري" مجموعات عديدة من القطع الفخارية متنوعة الأشكال مثل الجرار والصحون والطاسات والقدور والكؤوس وما يماثلها كانت كلها بمتناول أيدي أبناء الشعب. وأما القطع الفخارية المزخرفة والمزينة فكانت مخصصة للملوك ورجال الدولة والدين.

وابن ماري هو أول من استخدم المينا لتغطيه اللون الفخاري، وهذا ما عرف فيما بعد في العصر الإسلامي بالصيني في حضارة الصين.

ولابد من الإشارة إلى أنه وجدت في حفريات "ماري" بعض القطع من الأواني البرونزية وهي قليلة جداً كتب على إحداها اسم المالك فكانت تخص ابنة " نارام سين" حفيد الملك "سرجون الاكادي" وهذا دليل على العلاقات الطيبة بين "ماري" والشعب "الاكادي".

فن التمائم :

وما دمنا بصدد حضارة الطين فعلينا أن نذكر فن صناعة التمائم الذي بلغ في مدينة "ماري" شأواً كبيراً، وكانت صناعة التمائم مقتصرة على العمل اليدوي غير أن ذلك قد انقلب إلى الاعتماد على القوالب، وذلك منذ الألف الثالث قبل الميلاد. وعلى هذا الأساس أصبحت التمائم بمتناول أيدي الشعب لكثرتها وسهولة صنعها.

وتخفيف التمائم كان يحصل عن طريق تجفيف الطين في الشمس ومن ثم كانت التمائم تشوى على النار. ومن أهم مواضيع التمائم هو الإنسان من رجل وامرأة. وتمائم للإلهة الأم والرجل العاري وكل أنواع الحيوانات والى جانب ذلك مشاهد دينية وميتولوجية كما وجد في ماري مجسم بيت صنع من الطين غير المشوي يحوي على ثماني غرف متقابلة حول باحة مربعة.

فن الهندسة المعمارية :

قال أحد المهندسين الذين عنوا بمكتشفات "ماري" مايلي: إن قصر "ماري" أصبح منذ اليوم الذي تمَّ الكشف عنه وعرف مخططه عملاً فريداً من أجل إمدادنا بالمعلومات الهندسية الإنشائيه لكل منطقة الفرات ما بين النهرين. فالقصر الملكي في ماري لم يكن بالقصر الصغير وإنما كان بمثابة قلعة دفاعية واشبه ما يكون بمدينة صغيرة لاحتواء

السكان عند مواجهة الأخطار والمدهش في فن بناء القصر هي الهندسة الشرقية لغاية الألف الثاني قبل الميلاد. وقد كشف الحفارون عن قسم من القصر يحتوي على ٣٠٠ غرفة وممر وباحة.

ولقد كشف عن بعض الجدران فقد بلغ ارتفاعها خمسة أمتار. والجدير بالذكر اتساع الغرف والباحات لاستقبال مختلف طبقات الشعب وبلغت هندسة بناء هذا القصر أبعاداً واسعة كانت حديث الناس والملوك. ومن المؤكد أن ملك أوغاريت "تقمد" أرسل ابنه للوقوف على هندسة قصر ماري وتقليدها وكان برفقته مهندسون من حلب.

وما يقال من هندسة قصر الملك في مدينة "ماري" يشمل أيضاً الفن الإنشائي للمعابد وكلها أصبحت أمثله يقتدى بها.

فن الرسم على الجدران :

لقد أعطتنا مدينة "ماري" خلال الحفائر المتعاقبة على أرضها مدة ثلاثين سنة مجموعات من الألواح الجدارية المرسومة ومعظمها وجد في القصر الملكي. وقد دلت هذه الألواح على أنها من الناحية الفنية أرقى من الفن الذي عرفت به مدينة "اور" و"اشموناك" و"الالاخ" "وبرسيب" و"دورا اوروبس" وقد تبين لعلماء الآثار أن كل هذه المواقع اشتق فنها من الفن العموري.

وقد تبين للعلماء أن الفن العموري كان بعيداً عن التأثر بالفن المصري، وذلك لبعد الشقه بينهما، وأما بلاد ما بين النهرين فكان لها تأثيرها على الفن العموري.

فن النحت على الصدف والعاج :

خلف لنا الفن العموري أثاراً صدفية وعاجية رائعة فكانوا يأتون بالصدف من شواطئ الخليج العربي وضفاف نهري دجلة والفرات، وكانوا يتفننون في صفه وتركيبه إلى أبعد حد وصناعة الصدف هذه لم تكن وقفاً على سكان "ماري" بل كانت أيضاً من منتجات مدينة "اور" في المنطقة الواقعة في أسفل "ما بين النهرين وفي مدن أخرى.

وقد وجدت أيضاً بعض أنواع الآلات الموسيقية معمولة من العاج والصدف, وجد منها أيضاً الكثير في مدينة "لاكش" و" كيش" و" الوركاء" و ورثت ماري عن بلاد ما بين النهرين استعمال العاج وذلك منذ النصف الأول من الألف الثالث، كما دلت على ذلك لقى

مدينتي "أور" و"لاكش" واستمرت صناعة العاج في حركتها الفنية في العصر "الاشـوري" منتقلة إلى "أوغاريت" على الساحل السوري.

فن الأختام والنحت على الحجر :

يعود استعمال الأختام إلى عهد بعيد جداً في التـاريخ الحضـاري الإنسـاني فـالختم المسطح وجد منذ الألف الخامس وبدء الألف الرابع، ثم تطور شكله إلى شـكل أسـطواني في الألف الرابع.

إن مادة الختم المسطح هي الحجر وبأشكال مختلفة : بيضوي، مضلع منتظم ومختلـف الأضلاع والدائري. ويحفر على سطح منه رموز وصور.

والشكل الأسطواني شبيه بالأسطوانة ومن مختلف الألوان وأنواع الحجارة. وأما نحـت التماثيل فقد وُصف بالفن التكعيبي البعيد عن الواقعي ما عدا منحوتات مدينة ماري فإنـها كانت في الاتجاه الواقعي.

والفنانون في "ماري" كانوا يقيمون بالقرب من المعابد كمحلات صالحة للعرض وذلـك رغبة منهم في رواج إنتاجهم. إن أشهر تمثال في ماري هو تمثال "إلهة الينبوع" الموجـودة في متحف حلب ويمثل امرأة واقفة ترتدي ثوباً طويلاً لا يظهر منه سوى مقدمة القدميـن. والثوب متموج يشير إلى تموجات المياه .

التراثيون الأوائل : ملوك وقواد ورواد فكر :

أولاً : ملوك : بدا ظهور الملوك في بلاد ما بين النهرين منذ الألف الرابـع، أي بعـد حادثة الطوفان، وكان ذلك في مدينة "كيش" أول مدينة تجمّع فيها الناجون مـن الطوفـان واستوطنوها ولفظة"كيش" أكادية معناها التجمُّع. كما عثر المنقبون على تاريخ ملوك قبـل الطوفان، وهذا ما أطلق عليه المؤرخون اسم "ثبت الملـوك قبـل الطوفـان" أو الملـوك الأسطوريون في بلاد "سومر" وإليكم لائحة بأسماء هؤلاء الملوك مع سنين حكمهم بارقـام خيالية إذا ما قيست بحسابات الزمن الحالي:

رقم	الاسم	المدينة	سنين حكمهم
١	ألو ليم	أريد	٢٨٠٠٠
٢	الالمار	أريدو	٣٦٠٠٠
٣	امنلوآنا	بيت كركار	٤٣٠٠٠
٤	كيشوتا	لارسا	٤٣٠٠٠
٥	انتمنغلانا	بيت كركار	٢٨٠٠٠
٦	دموزي	بيت كركار	٣٦٠٠٠
٧	سبيزيانا	ألاراك	٢٨٠٠٠
٨	امندورانا	سيبار	٢١٠٠٠
٩	اواوراثوم	شيروباك	
١٠	زيوسودر	بطل الطوفان	٦٧٠٠٠

فيكون هؤلاء الملوك الأسطوريون قد حكموا ٣٤٥٠٠ سغة. أما " زيوسدرا " بطل الطوفان السومري فقد دعاه البابليون "اوتنابيشتيم" كما دعته التوراة "نوح" والسومريون "زيوسودرا". وقد جاء في كتابات الكاهن البابلي "برعوشا" (بيمروسوس) أن أسم الملك الأول هو "الوروس" وأنه حكم ٣٦٠٠٠سنة ولم يعرف سوى ذلك عن هؤلاء الملوك وهذا يذكرنا بأرقام خيالية أخرى، وإن كانت أقل بكثير من هذه الأعمار وهي أعمار الأباء العشرة في التوراة قبل الطوفان، وربما كانت هذه الأرقام الكبيرة قد وضعت تعبيراً عن عصور يكون مجموعها تاريخ بدء الإنسان على الأرض أخذت أسماء وهميين.

وما دام هناك ثبت للملوك فان المنقبين عثروا في بلاد سومر على لائحة بأسماء المدن التي عرفت بها بلاد "سومر" وهي مدن دولة من الشمال إلى الجنوب كمايلي وعددها ١٣:

رقم	اسم المدينة		
١	سيبار	وإلهها	"اوتو"
٢	كيش	وإلهتها	"ننماخ"
٣	اكشاك		
٤	لاراكك		

٥	نيبور	وإلهها	"انليل"
٦	ادب	وإلهتها	"تنماخ" (أيضاً)
٧	اوما	وإلهها	"شارا"
٨	لغش	وإلهها	"بنينغرسو"
٩	بادبيرا	إلهها	"لتراك"
١٠	أوروكك	وإلهتها	"انانا" السومري أو عشتار البابلية
١١	لارنا	وإلهها	"أوتو" (أيضاً)
١٢	اور	وإلهها	"نانا"
١٣	اريدو	وإلهها	"انكي"

ورئيس كهنة هذه المدن يدعى" شنجا "ويأتي بعده حاكم الدولة، أما الراعي فيختار إله المدينة اسمه " اتري" أو " لوجال "(ملك)" وقد جاء في ثبت الملوك السومري أن الملكية أنزلت مرة ثانية من السماء وقد بدأت هذه المرة في مدينة "كيش" أول مدينة أقيمت بعد الطوفان، ويضم هذا الثبت أسماء ٢٣ ملكا حكم كلٌ واحدٍ منهم ألف سنة. وأما أسماؤهم فاثنا عشر منهم بأسماء سامية وستة سومرية وأربعة أسماء بلغة مجهولة وأسم غير مقروء ويبدو جلياً من هذه الأسماء أن الساميين كانوا مسيطرين في منطقة " كيش" كما يبدو الاندماج السلمي بين السومريين والساميين والفئة الثالثة.

ومن التاريخ الواضح أن سلالة " كيش" تبدأ جلية بعد ٢٨٠٠ ق.م.

وقد برز منها " إيتانا " الراعي الملك الثالث عشر من ملوك ما بعد الطوفان الذي يعنينا كثيراً اسمه في مطلع عهد البطولات أو التراثيين.

قلنا سابقاً أن الملكية أنزلت ثانية من السماء، وذلك بعد الطوفان فما يعني أنزلت ثانية من السماء؟ أن نزول الملكية من السماء يعني أن الصولجانات أنزلت من السماء، ووزعت على رؤوس الملوك المستحقين والآلهة عشتار بالتعاون مع زعيم الآلهة انليل هي التي أنزلت الصولجانات ووزعتها على رؤوس الملوك فهي بمثابة عقد بين الآلهة والملوك ليكون حكمهم مبنياً على الحق والعدل والسلام واحترام مصالح الفقراء وحمايتها من الأغنياء وفي مقدمتها حماية الأرامل والأيتام. وإذا اختل سلوك الملك عن هذه القاعدة فإن الشعب يأخذ المبادرة بخلع الملك وتعيين من هو أصلح منه وهذا ما حدث مرتين

الأولى في حاكم الملك الكنعاني الملقب بالكبير المتمركز في جنوبي سوريا إذّ قام الشـــعب ضده لفساد سلوكه ورماه بالحجارة حتى الموت، وفي المرة الثانية فـــي تنصيـب الملـك "اوروكاجينا" ما بين النهرين الذي يعتبر أول مصلح في التاريخ وسيأتي ذكره فـي لائحـة التراثيين من الملوك.

التراثيون الأوائل من الملوك :

الملك " ايتانا " ٢٨٠٠ ق.م

تبين من التنقيبات أن الملك " إيتانا " ملك "كيش" حكم نحو ٢٨٠٠ ق.م . وفـي عـهده نجحت مدينة "كيش" ونجاحها أدى إلى توحيد كل مدن سومر المتنافسة إلى حد ما. وتقـول الأساطير المكتشفة أن الملك "أيتانا" اهتم بفكرة خلود الإنسان الذي لابدّ وان يموت فكيـف يمكن إذن أن يخلد. أمام هذه التساؤلات الفلسفية صرّح " إيتانا " بأن الإنسان يخلد بولـده. ولما كان هذا الملك محروماً طبيعياً من النسل توسل إلى الآلهة كي تمنحه ولداً.

فنرى الملك يدخل في قصة أسطورية أشبه بالملحمة أدت إلى تخطيه الصعاب بعـد أن عرف بأن نبتة الإنجاب هي لدى الآلهة "عشتار"ربة الخصب وركوبه فوق ظـهر النسـر مرتفعاً إلى أعلى السماوات. ولكن "إيتانا" بعد أن وصل إلى باب الآلهة "عشـتار" خـارت قواه وطلب من النسر العودة إلى الأرض. وبالفعل عاد الملك "إيتانا" إلـى الأرض وبعـد فترة من الزمن أتاه ولد إذ إن "عشتار" لبت له هذه الأمنية بناء على إيمانه كما جـاء فـي الأسطورة. وعندئذٍ اعتبر "إيتانا" أنه أصبح خالداً بولده. وراحت مثلاً بين الناس.

الملك " أوروكاجينا " (٢٥٠٠) ق.م

في سنة ٢٥٠٠ ق.م نشأت نزاعات كثيرة في بلاد سومر وخاصة في مدينـة "لغـش" التي حكمها الكهنة عشرين عاماً. وكان هذا الحكم من أسوأ ما مرّ على مدينة لغـش مـن حيث حرية المواطنين والضرائب التي أرهقت كاهل المواطنيـن. وكـانت سـلالة "أور-نانشة" هي الحاكمة في "لغش" إلى أن اختار الشعب حاكماً جديداً عليهم يدعى "أوروكاجينـا" من صفوف الشعب السومري وأما أسباب هذا الانقلاب الديمقراطي الـذي أعـاد القـانون والنظام في دولة المدينة و"مكنّ حرية مواطنيها". وكل هذا ترويـه وثيقـة ألفـها ودونـها

"المواطنون بالسجلات" من موظفي " أوروكاجينا " تخليداً لذكراه. نوجز فيما يلي مضمون هذه الوثيقة التي تبين ماكانت عليه أحوال مدينة "لغش" ومبررات انقلاب "أوروكاجينا".

كانت دولة " لغش" في الألف الثالث ق.م، تتألف من مجموعة صغيرة من مدن مزدهرة تتجمع كل منها حول المعبد. ومن الوجهة الاسمية كانت مدينة "لغش" مثل دول المدن السومرية الأخرى، تحت سيادة ملك بلاد "سومر" كلها.

ولكن الواقع كان حاكمها الزمني الفعلي هو الـ "ايشاكو" الذي كان يحكم المدينة ممثلاً ونائباً عن الإله الحامي الذي خضعت له المدينة، من بعد الخليفة، أما كيف حصل مثل هؤلاء الحكام أي الـ " الايشاكو" على السلطة فامر غير معروف على وجه التأكيد. ومهما كان الأمر فإن وظيفة الـ "الإيشاكو" صارت وراثية بمرور الزمن. وقد تعاون الحكام مع رجال المعبد على مد سلطتهم وإنماء ثرواتهم على حساب " المعبد ".

كان القسم الأكبر من سكان "لغش" من الفلاحين وأصحاب الماشية والصيادين والتجار والصناع، وأما النظام الاقتصادي فكان قسم منه اشتراكياً تحت سيطرة الدولة وقسم منه من النوع الحر الرأسمالي إلى حد ما. وكان المعبد يملك قسماً كبيراً من الأراضي كان يؤجرها إلى الناس مقابل حصة معينة من الغلة.

والواقع أنه حتى الفقراء كانوا يملكون المزارع والبساتين والبيوت والماشية ويمكن القول بوجه عام أن الغنى والفقر والازدهار كانت نتيجة الجهود الفردية. وكان تعاطي التجارة الفردية يقوم بكل حرية بين المواطنين في المدينة.

كما أن سكان "لغش" فادوا جداً في السوق الحرة من الدول المجاورة سواء في البر أو البحر. وكان المواطنون في "لغش" مقدّرين لحقوقهم المدنية ويعتزون بتعاملهم الحر. غير أن الأمور قلبت الموازين وأصبح المنفذون يستغلون جهد الشعب ابشع استغلال وقد شجعهم على ذلك امتداد سلطتهم على بلاد "سومر" مما جعلهم يزدادون طمعاً وتحكماً في رقاب الشعب.

هكذا كانت "لغش" بوجه عام غيران الأحوال تبدلت وظلم الحكام استشرى إلى أبعد الحدود وقد تحكمّ المتنفذون في رقاب االشعب من كثرة الضرائب، وإليكم نص الوثيقة التي تمَّ العثور عليها في وصف حالة الضرائب كمايلي: "وضع ناظر السفن يده على السفن وقبض ناظر الماشية على الماشية صغيرها وكبيرها. واستحوذ ناظر صيد السمك على

مصائد الأسماك ومواضع صيدها. وكان المواطن يأتي بغنمه إلى القصر لجـز الصـوف وكان عليه أن يدفع ضريبة مقدارها ٥ شيقلات أي نصف كغ من الفضة.

وإذا طلق رجل امرأته كان أول "ايشاكو" يأخذ ٥ شيقلات ويقبض وزيره "شيقلا واحـداً" وإذا هيأ صاحب العطر نوعاً من الدهان حصل "ايشكو" على ٥ شيقلات والوزيـر علـى "شيقل" واحد. واخذ ناظر القصر شيقلاً آخر. وأما عن المعبد وأملاكه فقد استحوذ عليـها ال "ايشاكو" على أنها ملك له. وقد استعملت نيران الآلهة فـي حـرث أرض ال"ايشـاكو" وفضلا عن ذلك فان موظفي المعبد البارزين ولا سيما طبقة ال"سنجا" اغتصبت حمـيرهم ونيرانهم والكثير من غلاتهم.

وحتى الموت لم يُخلِّص الناس من الضرائب والجبايات، فحين كان يؤتى بالميت إلـى المقبرة للدفن يتجمع عدد من الموظفين بقصد الاستحواذ من أهل الميت على مقـادير مـن الشعير والخبز والجعة. وغير ذلك.

فجباة الضرائب كانوا منتشرين في كل مكان الخ...

في هذه الفترة العصيبة جاء إلى الحكم حاكم صالح يخاف الآلهة هو "اروكاجينا". الـذي أعاد العدل وارجع "حرية المواطنين" الذين قاسوا المظالم الكثيرة. فازال نـاظر الملاحيـن وناظر الماشية وابطل وظيفة ناظر صيد السمك إلى ما هنالك مـن ضرائـب كـان يئـن الشعب من وطأتها، وأهم ما قام به في حركته الاصلاحية هو إعـلان "حريـة" المواطـن وذلك لأول مرة في تاريخ البشرية تعلن فيه "حرية المواطن" واسـمها باللغـة السـومرية "امارجي" أساس الديمقراطية في التاريخ.

وقد اعتبر العلماء والمؤرخون انقلاب "اورو كاجينا" أول انقلاب " إصلاح اجتماعي" في التاريخ.

الملك "جلجامش" ملك "أرك" (٢٧٠٠) ق.م :

ظهر الملك "جلجامش" في مدينة " ارك" تحت صفة ملك "ارك" وسيد "كلاب" وذلك بعـد آخر ملك من ملوك "كيش" المدعو "آجا" (تلفظ الجيم كاف فارسية) وفي عهد الملك "آجـا" ملك "كيش" نشب نزاع شديد بين مدينتي "كيش" و"أرك" على حدود المملكتين فارسل الملـك "آجا" إلى ملك "أرك" "جلجامش" إنذاراً يطلب فيه أن يعترفوا بسيادته على بـلاد "سـومر"

فأغاظ الأمر "جلجامش" ورأى أن لا مناص من الحرب مع "كيش" فدعا مجلس الشيوخ إلى الانعقاد والنظر في أمر الحرب فقرر مجلس الشيوخ اللجوء إلى السلم والمصالحة دون الحرب فأغاظ ذلك "جلجامش" فاضطر لإحالة القضية إلى مجلس "الرجال المحاربين" وما كان من هذا المجلس إلا أن قرر عدم الخضوع إلى إنذار "آجا" مفضلين الحرب على الخضوع. كل هذه الأحداث مدونة في قصيدة سومرية من نوع شعر الملاحم. وتتابع القصيدة القصة بتولها أن انذار "آجا" اقترن بحصار مدينة "أرك" مما اضطر "جلجامش" إلى مصالحة الملك " آجا " لشعوره بان المعركة بينه وبين "آجا" خاسرة.

والذي يهمنا في هذه القصيدة ذكر وجود برلمان في مدينة " أرك" مجلس شيوخ " و" مجلس مواطنين " وهو نظام ديمقراطي يتبناه الغرب و منهم الولايات المتحدة الامريكية في وقتنا الحاضر .فالروح الديمقراطية كانت سائدة في سوريا منذ الألف الثالث ق.م ولا يحق للغرب أن يعتبر نفسه مبدعا لهذا المبدأ الديمقراطي الذي عم جميع دول العالم .

هذا ما تميز به الملك "جلجامش" وأما الرائعة التي انتصر بها فكر "جلجامش" فهي المدونة في ملحمته المعروفة تحت "ملحمة " "جلجامش" وقد انتشر هذا السفر في جميع أرجاء الشرق الاوسط، كما أنه انتقل إلى الغرب فتهافت العلماء على دراسته ولا يزال حتى اليوم رغم مرور الزمن السحيق في القدم. مصدر ايحاء ودراسات حول ما جاء في ملحمة "جلجامش" التي تعتبر من أروع الملاحم في العالم , لم تصل الى مستواها ملحمة "هوميروس" بالرغم من اللقب الذي منحه إياه العلماء فقالوا عنه "ابو الملاحم في العالم "متناسين جلجامش وملحمته التي تبز هوميروس قدرة في وصف مطاوي الحياة وفلسفتها. أما لقب ابو الملاحم فيجب أن يمنح إلى "جلجامش" وليس إلى "هوميروس" علما بأن "جلجامش" يسبق "هوميروس" بألف وخمسين سنة.

فالغير يسرق تراثنا ويتبناه عنوة ونحن صامتون وأجمل ما في ملحمة جلجامش هي العبرة التالية : بعد موت صديق "جلجامش " انكيدو اعتراه الوجل من فكرة الموت ومصير الإنسان في عالم الظلام فتمنى ان يبقى خالدا، ولذلك ذهب لعند "اوتنابتشتبم" رجل الطوفان البابلي الذي منحته الآلهة الخلود وطلب منه أن يطلعه على سر الخلود . وفي نهاية الأمر أذعن رجل الطوفان و قال إلى "جلجامش" أن نبتة الخلود موجودة في قاع المحيط فرغب جلجامش أن يذهب و يحصل على هذه النبتة . و ما كان من " اوتنابيشتبم "

أن سلمه إلى ملاحه حتى يدله على موقع وجود نبتة الخلود . وهكذا تم ولما وصـــل إلـــى الموقع المعهود ربط في رجله حجر و نزل إلى قاع المحيط حيث وجد نبتة الخلود فأخذهـا و عاد بها من عند "اوتنابيشتبم " إلى مدينة أرك .

في الطريق مر ببحيرة فأعجبته مياهها و نزل فيها يغتسل بعد أن وضع نبتـــة الخلــود على حافة البحيرة، و في هذه الاثناء أدركت الحية وجود نبتة الخلود فانســلّت و التقطتــها هاربة بها . بعد أن انتهى "جلجامش " من الغسيل في البحيرة عاد ووجــد أن النبتــة قــد فقدت، كما عرف أن الحية هي التي سرقتها . لقد حزن حزناً شديداً إذ أدرك أنه لن يكــون خالداً و أنّه سيموت كما مات صديقه " انكيدو" عند ذلك أعلن فلسفة الخلود بقوله : مــا دام الإنسان سيموت فإنه " يخلد بأعماله "و هكذا فعل "جلجامش " أثر عودته إلى مدينته . لقــد عدل عن سلوكه السابق و ظلمه و أخذ يحسن في أحوال أرك و يبني لها سوراً اشترك هـو في بنائه . و بهذا التقى مع الملك " ايتانا " في فكرة الخلود فالملك " ايتانا " كما سبق ذكــره يقول الإنسان يخلد بولده بينما " جلجامش "يقول " إنه يخلد بأعماله " و نحـــن اليــوم بعــد خمسمائة ألف سنة لا نستطيع أن نرفض هذه الحكمة، إنها خالدة بخلود الجنس البشـــري . فأين حكمة " جلجامش من كل ما قاله " هوميروس " من حكم و مآثر . لقـــد آن الأوان أن نكشف عن كنوزنا الدفينة، و نسترجع ما سرقه الناس منّــا احترامــاً للجـهد الإنســاني و الحقيقة.

الملك سرجون ملك أكاد ٢٣٥٠-٢٣٠٠

كان اسمه الحقيقي شروكين أي " الملك " الشرعي و كان من أصل وضيع و لم يعــرف أباه ولدته أمه بالسر وما كان منها إلا أن وضعته في صندوق و رمته في نهر الفـــرات . لكن اكي البستاني انتشله من النهر و رباه في " كيش" و ترعرع فيها ثــم أصبــح ســاقي الملك " اورزبابا " ملك "كيش" ثم و بعد أن كبر استطاع التغلب علـــى الملــك و اســتلام الحكم . تذكرنا قصته بقصة " موسى" وانتشاله من النيل أما قصة " شيروكين " فإنها قبـــل قصة موسى بألف سنة و قد خلد هذه القصة شاعر آشوري من القرن السابع ق .م فقال :

" أمي كانت المتقلبة   ووالدي لم أعرفه

"أعمامي أحبوا التلال وسكنوها

" ازوبيراتو" مسقط رأسي تقع على الفرات

" حبلت بي أمي " المتقلبة وبالسر ولدتني

" في سلة القصب وضعتني وبالقير غلفتني

" وفي النهر ألقت بي ومياهه لم تبتلعني

" بل حملني وإلى " آكي " البستاني اتخذني

" ثم جعلني " آكي " البستاني لديه بستانياً

" وأنا بستاني منحتني عشتار المحبة والنعمة

" فمارست الملك تلك السنين " .

" وشروكين هذا بعد أن " أزاح أورزبانا " عن عرشه سار ضد " لوجال زاغيري " إمبراطور سومر (٢٣٧٥ - ٢٣٥٠) ق .م وتغلب عليه بشكل مدهش ثم اعتقله وأحضره إلى " كيش " مربوطاً بطوق كلب وإلى جانب موهبة " شروكين " القيادية له فضل في تسليح الجيش الأكادي واتباع تكتيك حربي حديث مثل إدخال القوس في التسليح والرمح كما استخدم طريقة القتال الفردي " رجل مقابل رجل " .

وبعد احتلال " أرك " هاجم أورولغش وأوما وكان له النصر حتى احتل كل سومر وهدم مختلف أسوار المدن وغسل أسلحته في البحر الأسفل (الخليج) .

كان " سرجون " رجل دولة بالمعنى الصحيح فلم يكتفِ بأن يصبح ملك " كيش " بل أسس عاصمة جديدة في مكان لم يكشف عنه حتى الآن سماها " أكادو " فيها القصور ومعابد عشتار و" زبابا " إله الحرب الكيشي . وقد سمى نفسه " شروكين " أي الملك الشرعي الذي انقلب إلى " سرجون " وعين حكاماً أكاديين على المدن، وأصبحت اللغة الأكادية اللغة الرسمية مستعملة جنباً إلى جنب مع السومرية .

وبعد أن انتسب له الحكم في " سومر " عبر دجلة نحو إيران فغزا عيـــلام وأخضــع " الغوتيين " في جبال زغروس كما أخضع القينجيين أصحاب الرؤوس السوداء سواء فـــي " سومر " أو في سفوح الجبال المتاخمة كما أخضع جبال " الحوريين " و" سوبارتو " . كمـــا سار سرجون بجيشه عبر الفرات على " بلاد مهبط الشمس حتى نهايتها فاحتل " انـــدرو " حتى البحر الغربي (المتوسط) ثم سار نحو جبال طوروس حيث غابـــات الأرز وعبرهـــا حتى " قونيه " إلى تركيا . كما عبر البحر ودخل قبرص و" كريت " وكما جعـــل دلمـــون (البحرين) مركز التجارة مع الهند وواصل زحفه حتى " عريش مصـــر " حيـــث لاقـــاه الفرعون " بيبي الأول " ودارت معارك بينه وبين جيش سرجون وغلـــب " بيبـــي الأول " على أمره وعاد إلى مصر غير أن " سرجون " لم يلحق به لأن خطة سرجون لـــم تكـــن ليحتل مصر وإنما لتوحيد سوريا الطبيعية فقط وتقول كتابات تلك الأيـــام أن " ســـرجون " سجد أمام إله القمح" داجون " فأعطاه الأقاليم العليا ، " ماري " و " يرموثي " و " ايبـــلا " حتى غابة الأرز والجبل الفضي (الأمانوس وطوروس) ويخلد شاعر أشوري فتوحـــات سرجون بقصيدة يقول فيها وذلك في القرن السابع ق . م مخلداً قصة سرجون وولادته :

" أنا شاروكين ملك أكاد القوى

" حكمت ذوي الرؤوس السود وملكت عليهم

" ببلطات البرونز قهرت الجبال العظيمة

" تسلقت السلاسل العليا

" وعبرت السلاسل الواطئة

" جبت بلنزان البحر ثلاث مرات

" قبضت على " دلمون " بيدي

" والى" دير " العظيمة صعدت ..

" وأبي ملك يأتي من بعدي

" فليحكم ذوي الرؤوس السود ويملك عليهم

" ليقهر الجبال العظيمة بالبلطات

" ليتسلق سلاسل الجبال العالية

" وليعبر سلاسل الجبال الواطئة

" وليدر في بلدان البحر ثلاث مرات

" وليضع " دلمون " في قبضة يده

" وليصعد إلى مدينة " دير العظيمة

ولما مات شروكين خلفه ابنه " ريموش ٢٣٠٠ – ٢١٩١ ق . م وبعد ريموش أخــوه " ماستوزه " (٢٢٩١ – ٢٢٧٥) وخلفه ابنه " نارام سين " ومعناه " حبيب سـين " (٢٢٧٥ – ٢٢٤٠) ق . م .

إنها سلالة ملوك وقواد وكم نحن اليوم بحاجة إلى أمثالهم .

حمورابي الملك الأموري (١٧٩٢ – ١٧٥٠) :

يطلق على حمورابي نسب الأموري نسبة إلى قبائل الاموريين، والاموريون هم سـكان غربي ما بين النهرين، وهم بالاصل كنعانيون أطلق عليهم اسم اموريين نسبة لموقـع سكناهم أي غربي العراق و أما من حيث العرق فهم كنعـانيون شـرقيون إذا مـا قيسـوا بالكنعانيين الغربيين سكان سواحل سوريا أو بلاد الشام في الوقت الحاضر .

ظهر حمورابي على زمن " زمري ليم " ملك ماري بعد أن أخضع ملوك العراق إلـى سلطانه في حروب متواصلة دامت ثلاثين سنة . وقد حج له في هذه الحـروب التوحيديـة أن يحتل مدينة ماري ويخضع وملكها " زمري ليم " إلى سلطانه ، ويحتل أيضا ٣١ مملكـة مدينة في بلاد ما بين النهرين : وهكذا بقي على حمورابي أن يوحد الفكر الديني في بـلاد ما بين النهرين بعد أن وحدها جغرافياً . فما كان من حمورابـي وكهانـه إلا أن أعلنـوا تكويناً إلهياً جديدا عرف بالتكوين " المردوخي " وهو التكوين الذي انتحلته التوراة و تبنته.

وقد عرف التكوين المردوخي بالمذهب الانفرادي، أي أنهم انفردوا بعبادة إله واحد مـن بين ٥٢ إلهاً كبيراً والمذهب الانفرادي هذا (He'motheisme) هو حلقـة الوصـل بيـن

المذهب الإلهي التعددي (Polythe'isme) والتوحيدي (Monothe'isme) ولما وقف يهود بابل -أثناء السبي- على هذا التكوين ثبتوه تحت اسم " يهوه " إله اسرائيل دون أن يسقطوا بقية الآلهة كما تبين لكم في هذا الكتاب في فصل اليهود والتوحيد.

هذا من حيث الاستراتيجية الدينية بصورة عامة، وأما من حيث التشريع فقد عرف حمورابي بأنه أول مشرع في العالم وشريعته متكاملة، وبالحقيقة فإن مشرعين قد سبقوه في هذا المضمار وهم : " اشنونا " " اورنمو " و " لبيت عشتار " ولكن تشريعهم كان مقتصراً على بضعة مواد فقط، وكان ذلك قبل حمورابي بما يقارب ١٢٠ سنة وأما شريعة حمورابي فكانت متكاملة وتشمل ٢٨٢ مادة بينما شريعة اشنونة ٦٠ مادة وشريعة لبيت عشتار ٣٧ مادة . وشريعة " اورنمو " ٢٩ مادة .

وعلى هذا الأساس يعتبر حمورابي أعظم ملوك بلاد مابين النهرين وملوك سوريا الطبيعية جغرافياً ومن حيث إقامة العدل والإصلاح الاجتماعي وتوحيد الفكر الديني، بينما كانت مدن العراق في منازعات لا تنتهي فيما بينها من حيث المعتقدات الدينية، فأعلن حمورابي أن إله بابل هو مردوخ، وبذلك انثنت المنازعات الدينية.

إن ملكاً هذا شأنه حق له الخلود في تاريخ سوريا كما حق لأبناء سوريا أن يعتزوا بانتمائهم إليه جيلاً بعد جيل .

٦- " **أسرجدون** " : أحد ملوك مملكة " آشور " ابن سنجار حكم من عام ٦٨١ ق.م حتى ٦٦٨ ق .م هاجم مملكة يهوذا وفرض على اليهود ضرائب باهظة وانتصر على المصريين وأعراب شمالي العربة .

٧- **سنحاريب** : أحد ملوك الدولة الآشورية - ابن سرجون الثاني حكم من سنة ٧٠٥ ق.م إلى ٦٨١ ق.م . وطد أركان الدولة وحارب الفرس والمصريين وجيوش آسيا الصغرى وقضى على الثورات الداخلية .

٨- **نبوخذ نصر** : أشهر ملوك الدولة البابلية الأخيرة التي قامت فيما بين النهرين من القرن السابع قبل الميلاد إلى عام ٥٣٩ ق.م وانتهت بالفتح الفارسي وقد وحد نبوخذ نصر

سوريا الطبيعية، وحطم مملكة يهوذا في القدس وسبى اليهود إلى بابل عام ٥٨٦ ق.م واستمر سبيهم الى عام ٥٣٦ وقد ملك عام ٦٠٤ ومات عام ٥٦١ ق.م .

٩- **آشور باني بال** : أحد ملوك الآشوريين وهو ابن أسرحدون اشتهر بحبه للعلم والآداب فنسخ جميع آثار الأقدمين واحتفظ بها في مكتبة، وقد أدى اكتشاف هذه المكتبة في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي الى إظهار بعض آثار الفكر السوري الضخمة، وقد ضم مصر إلى امبراطوريته وحكم من عام ٦٦٨ الى عام ٦٢٨ ق.م .

١٠- **تقلاط فلاصر** : أحد الملوك الآشوريين أعاد وحدة البلاد السورية بعد ضعفها وانقسامها حكم من حوالي ١١٢٥ إلى حوالي ١١٠٠ ق.م .

١١- **زنوبيا** : اسم زنوبيا يوناني وأما الاسم الشرقي العربي فهو الزباء وكانت زنوبيا وهذا بموجب تصريحها من سلالة كليوبترا، ويقال أنها كانت أجمل بكثير من كليو بترا وكانت كالعذراء لا تجتمع بزوجها أذينة إلا مرة في الشهر وذلك حفاظاً على النسل فقد كانت زنوبيا ذات ذهن وقاد وشخصية آسرة، وقد اتخذت مستشاراً لها الفيلسوف الشهير العالم لونجين وكان يعلم زنوبيا جمالات اللغة اليونانية واللاتينية، وكانت نجاحات أذينة العسكرية بفضل نصائح وشجاعة زوجته زنوبيا، كما كان أذينة يمارس مطاردة الحيوانات المفترسة عندما لم تكن لديه مشاغل عسكرية وكانت زنوبيا رفيقته في هذه الهواية الخطيرة .

في عام ٢٧٦م قتل أذينة وهو في أوج مجده وبقي موته سراً بين مطاوي التاريخ وكان من الطبيعي أن يخلفه ابنه وهب اللات ولكن لحداثة سنه حلت محله أمه زنوبيا .

كانت زنوبيا تفكر باحتلال البلدان المجاورة وضمها لمملكتها قبل فارس والعربه وأرمينيا، غير أن مستشارها لونجين ركز فكرها على مصر فقط ثم أرسلت رئيس أركانها "زبداي" واحتلت مصر في غياب بروبوس الروماني حاكم مصر وعند عودته وجد أن التدمريين قد احتلوا بلده .

وفي هذه الأثناء كانت روما تتفقد أوضاع زنوبيا بحذر شديد رغم فشل روما في حروب متواصلة مع الغوطيين إلى أن انتصر على هؤلاء " أورليان " الروماني، ومن هنا

بدأت أطماع أورليان تتجه نحو مملكة زنوبيا، وقد تم له بنهاية الأمر التغلب على جيش زنوبيا واحتلال تدمر وأخذ زنوبيا أسيرة الى روما مقيدة بسلاسل من ذهب، وأما انكسار جيش زنوبيا فلم يحدث إلا بعد خديعة وخيانة من قبل بعض اليهود المندسين في بلاط تدمر، ففي أثناء المعارك الطاحنة بين جيش تدمر وجيش أورليان قاومت الشجاعة زنوبيا الى أن تذهب عبر الفرات تستنجد الأرمن والأعراب والفرس ضد الرومان، وما أن وصلت إلى " دوره أوروبس " حتى واجهتها كوكبة من جيش أورليان قبل عبورها الفرات وأسرتها .

لقد وحدت زنوبيا الشرق الأوسط برمته ومصر ويقولون عنها أن كثيراً من النساء قمن بأعمال تاريخية عظيمة ولكن ولا واحدة منهن تشبه زنوبيا ملكة سوريا العربية التي أنهت حياتها بمجد لا مثيل له في تاريخ البشرية ولولا الخيانة لغيرت وجه التاريخ .

ثانياً : من القواد هاني بعل :

رغم أن ملوك ما بين النهرين كانت لهم صفة القيادة الى جانب صفة إدارة المجتمع فقد عرفوا كحكام أكثر منهم قادة عسكريين وذلك بخلاف هاني بعل .

فمن هو هاني بعل ؟؟.

إنه ابن " هملقار " برقة قائد جيوش قرطاجة . اشتهر هاني بعل بحروبه ضد الرومان واجتياز جبال الألب للمرة الأولى في التاريخ، وبعد أن سحق الجيوش الرومانية حاصر روما نفسها ولم يفك الحصار عنها إلا بعد هجوم الرومان على قرطاجة واشتهر هاني بعل بالتخطيط الحربي الممتاز الذي جعله أعظم قواد العالم من حيث المقدرة الفنية، وتدرس خططه في المدارس العسكرية في العالم أجمع، وبعد أن تغلب الرومان على جيوش قرطاجة وهدموها عاد الى وطنه السوري وحاول إقناع المدن الساحلية بمساعدته ضد الرومان فلم يفلح وهذا ما سهل للرومان اجتياح سوريا كلها . ولد عام ٢٤٢ ومات عام ١٨٣ ق.م بأخذه السم حتى لا يقع بين أيدي الرومان .

ثالثاً : رواد الفكر السوري الأوائل :

يعترف علماء الغرب أن سوريا هي مهد الحضارة العالمية، وأن سورية أعطت العالم كل علم وفن وفلسفة. ويقول عالم الآثار الفرنسي " اندره بارو " مكتشف مدينة ماري

وذلك بعد أن طلع على حضارة ماري يقول: إن كل إنسان في العالم له وطنان وطنه الذي يعيش فيه وسورية فأين هي معالم هذه الحضارة العظيمة الواسعة الأطراف ؟ إنـــها علـــى لسان أبنائها في كل زمان ومكان وفي لغات مختلفة بأن الحضارة السورية كانت منفتحـــة على العالم غير معلقة وبخاصة على اليونان جارتها ومن اليونان انتقلت إلى كل الأصقــاع. أما العالم الذي تغذى بالحضارة السورية عن طريق اليونان أو غيرها علـــى لســان هــذه الحضارة غير السوريين، واعتبروها من أصل غير سوري أي من أصل مـــن وضعوهــا بلغتهم غير السورية ولذلك بدأت تضيع هويتهم ولما تزل .

إننا في هذا الفصل سنميط اللثام عن هؤلاء الرواد الأوائـــل احترامـــاً لــهم وللحقيقــة التاريخية التي لا تغيب معالمها إلى الأبد .

١-**أوروكاجينا** : رغم أن اسم " أوروكاجينا " قد ذكر في مطلع هذا الكتاب في لائحـــة مشاهير ملوك سوريا إلا أنه من حيث الاصلاح الاجتماعي يعتبر أول مصلح فـــي التاريخ البشري وهو أبو الحرية . قام أوروكاجينا " بانقلاب على الحكام واســتولى على الحكم وأعلن هو نفسه أنه فعل ذلك تلبية لأمر الإله " نيـــن جرســو " الــذي نصبه نائب الاله وكيله حقاً والإصلاح الذي قام به أوروكاجينا بأمر الالـــه فعــزل وكلاء الملاحين ومنع مصادرة قواربهم وحرم على رئيس الرعاة الاستحواذ علـــى قطعان الرعاة وجعل سلطة الإله " نين جرسو " فوق سلطة الحكام إلى ما هنــــالك من اصلاحات شملت جميع مرافق الأمة معلنة حرية المواطنين من أجل كل ذلـــك نعتبر أروكاجينا الى جانب صفته الملكية، من رواد الفكر الأوائـــل ويـــأتي بعــده حمورابي .

٢-**حمورابي** : يعتبر حمورابي من رواد الفكر الحضاري السوري بالإضافة إلى أنـــه ملك عظيم، وحد ممالك ما بين المدن في بلاد ما بين النهرين في مدة ثلاثين ســـنة من حكمه الذي دام اثنتين وأربعين سنة، وبذلك يكون قد وحد جغرافياً بلاد ما بيـــن النهرين .

أما من الناحية السياسية الاجتماعية فإن الممالك التي احتلها ووحدها وهي إحدى وثلاثين مملكة كانت في نزاعات كبيرة جداً فيما بينها على أساس العقائد الدينية القائمة ، فالمذهب الالهي الذي كان قائماً هو المذهب التعددي فكان لكل مملكة مدينة إله تعبده ورعايا الإله كانوا يتباهون بانتمائهم إليه، ويفاخرون به على آلهة المدن الأخرى فتقوم الخصومات بين المدن المؤدية إلى حروب محلية وهي تقضي على وحدة البلاد .

في هذه الأثناء وبعد أن وحد حمورابي مناطق وادي الرافدين جغرافياً انتهز فرصة توحيدها فكرياً على أساس الدين، فقد حدث في ذلك الزمان انقلاب ديني لا يقل روعة عن مضمون شريعة حمورابي ألا وهو الانقلاب المردوخي. فقد نودي بمردوخ زعيماً للآلهة وإله بابل دون أن تسقط بقية الآلهة وهنا نرى حمورابي يؤيد ألوهية مردوخ من بين اثنين وخمسين إلهاً كبيراً تحولت كل قدراتهم إلى مردوخ . وقد عرف هذا المذهب في أيامنا الحاضرة بالمذهب الانفرادي بعد التعددي صلة الوصل بين التعددي والتوحيدي الذي أعلنه إبراهيم الخليل . وهنا لابد من السؤال ما إذا كان حمورابي هو مبدع المذهب الانفرادي أو أن كهان المعابد أعلنوا هذا المذهب، ووجد حمورابي من مصلحته الكبرى تبنيه فتبناه وأطلق على الإله مردوخ صفة إله بابل ؟ في الحالتين إن للملك حمورابي الفضل الأعظم في تثبيت هذا المذهب دعماً لوحدة بلاد ما بين النهرين الجغرافية .

٣- طاليس أبو الفلسفة :

يعتبر طاليس مؤسس الفكر الفلسفي في اليونان، وهذا ما تعلمه ويتعلمه كل تلامذة الفلسفة فمن هو طاليس ؟ إنه كان فينيقياً يقول هيرودوت في كتابه الأول " كليو " في دائرة المعارف البريطانية صفحة ٤١ ما يلي :

" طاليس رجل ملطيه الفينيقي الأصل " الخ ...

ويصرح " ديوجين " في كتابه عقائد وأحكام الفلاسفة الكبار " بقوله عن طاليس أنه " طاليس الفينيقي "

والفيلسوف " كليمنيتس " الاسكندري يوافق على قول " ديوجين "

كما أن " سيمليسو " الكيليكي من كيليكية السورية يذكـــر فـــي تعليقاتـــه أن اســـم " طاليس " هو بالأصل اسم " طالي " على أن السين مصطلح يوناني يلصقـــون حـــرف السين ببعض أسماء العلم . وطالي باللغة الآرامية معناه العالي أو المرتفع .

وعلى هذا النحو نرى أن الكثير من الفلاسفة والمؤرخين يؤكـــدون أن " طـــاليس " كان فينيقياً وقد حصل على معارفه من فينيقية ومصر وبابل .

وقد صنفه " أفلاطون " بين أكبر سبعة حكماء في العالم . وهم بحسب الأهمية :

طاليس – بيتاكوس – سولون – كليوبولس – بياس شيلون – منرون .

ومن كتابات " ديوجين " يفهم أن طاليس هو من سلالة قدموس ابن الملك الفينيقـــي " اجينور " وأخو " اليسار " وقدموس هذا هو الذي علـــم اليونـــانيين القـــراءة والكتابـــة والحساب والغناء إلى جانب أبجدية أوغاريت كما بنى مدينة " طيبة " في اليونان .

ويبدو أن طاليس اشتغل بالتجارة ضرب من ضروب الحكمة إذ إنها تجلب الخيرات من البلدان القاسية .

ومن المتعارف عليه أن طاليس هو أحد الحكماء السبعة الذين مرَّ ذكرهم واجتمعـــوا مرة وطلب من كل واحد أن يعطي قولاً مأثوراً فقال طاليس : " إعرف نفسك " وقـــال سولون : " لا شيء يزيد على حده " وقال " بيتاكوس " انتهز الفرصة " وقال " شـــيلون " : الغرور قبل السقوط " وقال " بريندر " : كل شيء بالمزاولـــة " وقـــال " بيـــاس " : أكثر الناس أشرار " ومن المعروف عن " طاليس " الكثير من العلوم والنظريات وأنـــه هو الذي علم اليونان الهندسة والفلك والفلسفة والكثير من النظريات .

إنه حقاً مجمع علمي قائم ويحق لأبناء سورية أن يمجدوه ويقتدوا به .

٤ – انوكسيمندر :

ولد في بابل وكان أبوه نبيلاً يدعى " بركسياد " وقد تعرف إلى " طاليس " في بـــابل ليدرس فيها علم الفلك وذلك في عهد الملك " نبوخذ نصر " وقد أعجب به " طـــاليس " وأحبه . كان يقول في باب الفلسفة أن أصل الأشياء هو اللامتناهي وقد خالف " طـــاليس

" في نظريته القائلة أن الماء هو المادة الأولى والجوهر الأوحد الذي تتكون منه الأشياء وقد علل نظريته بقوله : " إن الماء هو استحالة إلى سائل بواسطة الحرارة " فالحار والبارد إذاً سابقان للماء " ثم قال " إن المادة الأولى التي هي لا متناهية بمعنيين. من حيث الكيف أي أنها غير معينة ومن حيث الكم أي أنها غير محدودة . وهي مزيج من جميع الأضداد كاليابس والرطب والحار والبارد وغيرها ... وإن هذه الأضداد كانت مختلطة في البدء ومتعادلة ، وغير موجودة كما هي الآن ، إلى ان اتصلت محركة المادة وظلت الحركة تفصل بعضها عن بعض وتجمع بعضها من بعض بكميات مختلفة الى ان تألفت بهذا التلاقي والانفصال كل الاجسام الطبيعية ... وكان الحار والبارد أول ما انفصلا ..فتألف البخار بفضل الحرارة ... ومن البخار كان الهواء ... أما ما رسب فصار يابساً بالتدريج ... ومن هذا اليابس كان البحر وكانت الارض .. اما الحياة فقد ولدت من الرطوبة بعد التبخر أي من الطين الذي هو مزيج الهواء والماء والتراب .

وقال ايضاً : ولدت المخلوقات الحية من العنصر الرطب ورأى : ان المبدا المديم لكل الظواهر المحدودة لا يمكن ان يكون هو نفسه محدوداً . فاساس الوجود برمته لا بد ان يختلف عن عناصر الواقع وأن يكون ذا طبيعة اخرى وهو يشمل في الوقت ذاته كل تباين وتقابل وميزة فدعا هذا المبدأ اللامحدود و اللامتناهي .

وكان يقول أيضاً : ان السبب المادي والعنصر الأول للأشياء هو اللامحدود وهو ليس الماء ولا أحد العناصر، بل مادة تباينها جميعاً لا يحدها حد، نشأت منها السموات وما فيها من عوالم .

وهو يدعو اللامحدود مادة أو جسماً، وهو أيضاً لم يعزُ أصل الأشياء إلى أي تبدل في المادة بل قال :ان الأضاد في الطبقة الأساسية هي جسم لا محدود تفرز عنها .

والضاد التي عناها انوكسيمندر هي الاضاد تفرز عن اللامحدود دون الإشارة إلى عملية آلية . وقد عبر عن ذلك بقوله وفي ذلك الذي تنطلق منه الاشياء ، تتوارى الاشياء ثانية . كما يجب : إذ يعوض بعضها البعض عن غيره بموجب ترتيب الزمن

واللامحدود هو خالق أزلي وقال أيضاً : تتأرجح الأرض طليقة لايربطها بمكانها شيء وهي تبقى حيث هي لأنها على بعد متساوٍ من كل شيء .

وأما المخلوقات الحية فيقول إنها نشأت من عنصر الرطوبة وهو يتبخر في الشمس والإنسان كان كحيوان آخر هو السمك في بدايته .

إننا نرى في عمق تفكير انوكسيمندرالنزعة الفلسفية الفذة فهو فيلسوف قبل كلّ شيء ولا عجب من بلد كسوريا أن يعطي العالم كل علم وفن وفلسفة .

٥- بيتاغور (٥٨٠-٥٠٠) :

وعظيم آخر من بلادنا هو " بيتاغور " الذي بعد ٢٥٠٠ سنة على وفاته شاغل الناس ودنيا الفلسفة . إن له مريدين في أصقاع الأرض كافة ومن بينهم الدروز في سوريا والعالم الغربي في أمريكا وفرنسا وألمانيا وايطاليا وحتى البرازيل .

كما أنه في مؤسسة جامعية تدعى " بروفيدا " ينتمي إليها مفكرو العالم وطلاب وأساتذة الجامعات في الفلسفة . ينتصب في وسط القاعة تمثال بيتاغور فيدخل الطلاب إلى هذه القاعة باحترام كلي يدرسون تعاليمه ونظرياته وكلها أسرار وحكم .

فمن هو "بيتاغور " هذا الرجل العظيم ؟ كان أبواه فينيقيين من مدينة صيدا . واسم أبيه " أمني سركو " ومعناه " خائف الله " واسم أمه " بارتيني " ويعني " الابنة الحنونة".

ذات يوم قرر الزوجان زيارة صيدا من جزيرة " ساموس " التي كان يسكنانها وبعد شهر من وصولهما ولد لهما طفل جميل سمياه " بيتاغور " وهو اسم فينيقي معناه الحكمة أو " بيت الحكمة " . قضى بيتاغور طفولته بين والديه ومن ثم بعد أن كبر وأصبح في الثامنة عشرة من عمره راح يدرس مع الفيلسوف " هيرمودامو " في "ساموس" . وفي العشرين مع " فيرسيددي سيراي " وسافر بعد ذلك الى " ملطية " حيث التقى " بطاليس " وتلميذه البابلي " أبو كسيمندر " فاستقبلاه بترحيب ومحبة وبعد فترة وجيزة وقد رأى فيه " طاليس " ذكاءً خارقاً نصحه بالسفر الى فينيقية وبابل ومصر يتثقف فيها على أيادي الكهنة .

ذهب الطالب الشاب الى فينيقية حيث أخذ يدرس نظرية العالم الفينيقي " موخوس " أبو الذرة ... وأسرار الدين ثم قصد دير جبل الكرمل قرب مدينة حيفا في فلسطين .

ومن أرض كنعان توجه بعد ذلك إلى مصر حاملاً رسالة توصية إلى كهنة فنغيس " الذين قبلوه بعد تجارب عديدة .

بقي في مصر اثنين وعشرين عاماً يدرس ويتأمل فبدأت كنوز الحكمة والمعرفة تنفتح أمامه .

وعندما احتل الملك " قمبيز " مصر عام ٥٢٩ ق.م ووقف على أمر التلميذ " بيتاغور " نفاه الى بابل . حيث بقي اثني عشر عاماً يتابع دروسه إلى أن تسلم أصول عقيدة الكلمة والنور .. أو الكلمة الكونية ... وعلم تطوير النفس وتطهيرها بواسطة التحولات السبع .

وفي بابل عمق معارفه في علم الرياضيات وعلم الأرقام والمبادىء الكونية والهندسة وعلم الفلك كما درس الديانات المنتشرة هناك من بابلية وفارسية وفينيقية ويهودية وتاريخ الأمم والشعوب والأجناس . وعندئذ قرر العودة الى جزيرة " ساموس" وتّم له ذلك .

وبعد فترة من الزمن ذهب مع والدته الى " دلغوس " ومنها الى " كروتونا " وهي مدينة فينيقية في جنوب ايطاليا . حيث سمحت له السلطات بتأسيس مدرسته التي نالت شهرة واسعة وأصبحت أم المدرسة الأفلاطونية . وهنالك الكثير من أتباع " بيتاغور " وتلامذته من الجنسين وكان الشعب يزداد تعلقاً به فأخذوا ببلاغته وفضيلته .

وكانت دروسه تخضع إلى نظام صارم محفوف برياضة جسدية وصلوات ودروس وصمت تام طويل أحياناً وطاعة تامة للرؤساء وتجارب قاسية ومعموديات إلى أن يحين التكرس وفق درجات أولها الأعداد ثم التطهير والتكامل و "الأبيفانيا" أو الكشف ويبلغ معه الإنسان قمة التكريس فتنكشف له الأمور وأسرار الوجود والحياة

وصل في سن الستين إلى أوج شهرته حيث التقت به إحدى مريداته وركعت أمامه طالبةً منه أن يخلصها من حب مستحيل وتعيس . وبعد أن كشفت له عن حبها له

ارتاح المعلم ورأى في هذه الفتاة ضالته المنشودة فتزوجها ورزقت منه بابنين أطلق عليهما اسمين فينيقيين هما "اريمنت" و"تلوجي" وابنة دعاها "دامو" وكلها أسماء فينيقية وهكذا عمت "البتاغورية"كل أرجاء ايطاليا الجنوبية محتذيةً حذو "كروتونيا"حيث سادت فيها حكومات تدين بتعاليم "بيتاغور" وتتقن أفكاره .

ومن جملة تراث البيتاغورية ما يلي:

- الأشعار الذهبية لبيتاغور
- الوصاية الذهبية
- تثقيف النفس
- التكامل.

ونحن إذ نتوقف عند هذا الحد من الشرح حول حياة بيتاغور وما أنتجه العالم لن ننسى أنه سوري الأصل داعين أجيالنا الصاعدة إلى دراسة البيتاغورية علماً وفلسفةً ورياضة روحية إحياءً لنا وتمجيداً للمعلم الكبير الذي نسي السوريون اسمه وفي ظنهم أنه يوناني الأصل . وما أكثر العلماء رواد الفكر السوريين الذين تبنتهم الامم واعتبرتهم من أبنائها ونسيتهم سورية .

وأما موت "بيتاغور" فنلخصه كما يلي:

كان "سيلون" من أحد تلاميذ "بيتاغور" سيءالأخلاق إلى درجة أنه جمع بعض الأشقياء وأشعل النار في بيت أحدهم وهم مجتمعون ومن بينهم ثمانية وثلاثون بيتاغورياً من أصل أربعين وسرعان ما التهمت النار المنزل وقضت على من فيه بينهم "بيتاغور" ما عدا تلميذين تمكنا من النجاة.

وقد استمر تلامذته ثلاثمائة سنة من استشهاده يذكرون "بيتاغور" ويؤدون رسالته يعتبرونه من أكبر المنارات الحضارية الثقافية العقلية في العالم ولا يزال هكذا حتى اليوم.

٦ـ زينون الكبير ٣٣٨ـ٢٦٤ ق.م

لقد سماه الكاتب الكبير الأستاذ نواف حروان "زينون الكبير" تمييزاً له عمن يحمل اسمه.

كان أبوه تاجراً فينيقياً اسمه "منسى" يقيم في جزيرة قبرص انتقل منسى بعد أن أتاه ولد سماه "زينون" إلى مدينة "سيتوم" في قبرص . وكان "منسى" يتعاطى تجارة الأرجوان غير أن "زينون " أحب العلم أكثر من التجارة فأكب على الدرس وقرأ تاريخ الأقدمين وحكمة البابليين والفينيقيين، كما قرأ حكمة "احيقار" وفلسفات "طاليس" و "انوكسيمندر" و "انوكسيمين".

ومارس التجارة فترة من الزمن بعد موت والده ٣١٢ ق.م وهو يتابع دروسه.

أقام في "اتينا" حيث أخذ يحتك بالفلاسفة. كان يصغي للفيلسوف "اقريطس" زعيم المدرسة "الكلبية" فاشمأز من أقواله. ونهض ليغادر المكان فأمسك به "اقريطس" من عباءته لكي يرغمه على البقاء فقال "زينون":

" إن الفلاسفة يجذبون من آذانهم وليس من عباداتهم يا اقريطس

موت زينون : كان زينون في أحد المجالس وقد تجاوز الثمانين. ولما قام مودعاً تعثر في مشيته وكسرت يده وأصابته جروح. فرفع أنظاره نحو السماء وأنشد البيت التالي وهو يخاطب الله : "لماذا استدعيتني؟ كنت آتياً من تلقاء نفسي"

ولما حمل إلى بيته وهو لا يقوى على التحرك قرر أن ينتحر فشرب السمّ ومات.

حزن عليه الاتينيون حزناً عميقاً وصدر عن الحكومة قرار هذا نصه:

" بما أن زينون بن "منسى" من مدينة "سيتوم" أصلا أقام في مدينتنا يعلم الفلاسفة سنين عديدة، وقد اتضح لنا أنه كان مستقيما في جميع أعماله وأنه مارس الفضيلة التي كان يعلمها، وأنه ثابر على حث تلاميذه على التمسك بها، رأى الشعب أن من واجبه وحقاً عليه، أن يكرمه علناً ويمنحه تاجاً من الذهب استحقه بورعه وشهامته وأن يشيد له قبراً بالقرميد الأحمر من خزينة الدولة، وأن يكلف خمسة اتينيين بتنفيذ هذه المهمة،

وأن ينقش هذا القرار على عامودين، أحدهما من المدرسة "الأفلاطونية" وثانيهما من المدرسة "الارسطالية" وأن يسلم المال حالاً، من أجل مصلحة الدولة، لكي يعلم كل الناس أن أهل "أثينة" يعرفون كيف يكرمون ويمجدون ذوي الفضل والمحسنين أحياء وأمواتاً، إن قرار الحكومة هذا يدل على إن الاتينيين كانوا يقدرون "زينون" حقّ قدره.

ونحن اليوم لا نطلب من طلابنا إلا أن يستوعبوا فلسفة "زينون" وقد رثى زينون أحد تلامذته وهو الفيلسوف "زينودوت" وألقى على قبره قصيدة نقدم منها هذه الأبيات :

" زينون أيها الرجل الذي شموخ جبهته، يعادل علو همته" أي مجد بلغته؟

" زينون أيها الرجل الوقور، ذو الحاجبين الكثيفين لقد اكتشفت" العقلنة ومارستها بفهم عميق.

"أهذه هي الفضيلة؟ أم الطيران إلى الخلود؟

"كنت زاهداً متواضعاً واحتقرت الغنى.

"أنكرت ذاتك يا مؤسس العلم الرصين.

" فمن يستطيع أن يضاهيك؟

"وإذا كان وطنك فينيقيا

"من يستطيع أن يلومك

"ألم يكن قدموس فينيقياً؟

"ألا يدين له اليونانيون بكل ما لديهم من كتب؟

ويقول "ادمون بينان" في كتابه "الرواقية والشك" مايلي:

"لكي نفهم زينون يجب أن نعرف الحكمة الفينيقية"

وفي سيرة زينون التي كتبها الفيلسوف اليوناني "ديوجين لايرتوس" وردت شهادة "لأرسطو" جاء فيها:

"ألم يكن "طاليس أبو الفلسفة، بشهادة "أرسطو" فينيقياً مثله وكم هي أقدم من أفلاطون وأرسطو الحضارة الفينيقية- الكنعانية" حضارة صيدون مدينة أبائهما"

إنها شهادات لا تقبل الشك. فإلي ينبوع حضارتنا أيتها الأجيال الطالعة إلى دراسة "رواقية"

زينون.

١. هذا ولايسعنا في هذا المقال أن نشرح فلسفة زينون لا تساعها الكبير مكتفين باعـاده قول المفكر الانكيزي "ماهافي": "يجب أن يظهر جلياً أمام العالم، أن أعظم تراث عملـي في الفلسفة لم يكن فخامة "افلاطون" ولا اتساع علوم "أرسطو" ، بل مـا نلمسـه فـي مذهبي "زينون" و"ابيقور" العمليين. إن كل إنسان في أيامنا هو "رواقي" أو "أبيقـوري" يتأرجح بين الاثنين"

٧-أبو لودور الدمشقي (١٢٥-٦٠) :

ونختم هذه الشروحات حول طليعة رواد الفكر السوريين بما يستحق أعظم مهندس معمـاري قديم وهو "ابو لودور الدمشقي" .

ولد في دمشق ودعى اسمه "ابو لودور" تيمنا باسم الإله السـوري "نبـو" المقـدس باللغـة الآرامية.

نبغ "ابو لودور" في هندسة العمارة منذ شبابه فعطف عليه "تراجان"

ابن حاكم سوريا الروماني ولما أصبح :إمبراطوراً استدعاه إلى رومة وجعله مستشاراً لـه وقد حمل معه إلى روما الفن المعماري السوري المتفوق. ويقول "تاريخ كمبر يـدج" رقـم ١١ مايلي:

"كانت سوريا متقدمة على رومة في فن العمارة بل كانت بالنسبة لها النموذج الذي احتذتـه. وأن سوريا تفوقت على رومة في عبقريتها المبدعة ومعارفها الفنية وفي مـهارة عمالـها. وأن"ابولودور" الدمشقي اقتبس تصميمات المباني التي أقامها في سفح "الكورينـاليس" فـي رومة، سن موطنه الأصلي"

ويقول "ليون هومو" في كتابة "العصر الذهبي للإمبراطورية الرومانية مايلي:

"عند زوال السلوقيين، طغت على السطح من جديد ثقافة سوريا المحلية. وعندمـا حـاولت رومة كبح جماح هذه الثقافة لم تفلح.

وفي القرن الثاني الميلادي، ظهرت من جديد الموجة الشرقية (السورية) في ميدان الفن".

أما الشاعر الروماني جوفينال فقال :

"إن نهر العاصي السوري أخذ يصب مياهه في نهر "التيبر" حاملا معــه فنونــه وعاداتــه" ويعني بذلك الفنون والعادات السورية.

إلى هنا نتوقف عن نشر ما قدمه لنا من تراث طلائع رواد الفكــر الســوري. ولا نضــن بأسماء من تبقى من المفكرين السوريين حتى يهتدي الجيل إليهم في مطالعاتهم أحياءً لمجــد سوريا وعزها.

قائمة ببقية المفكرين الأوائل

أخذت هذه اللائحة من كتابات الأديب " نواف حردان":

١- "اقليد" ولد في صور سنة ٣٢٠ ق.م

٢- "ماغون" قرطاجي وضع كتاباً في ٢٨ جزءاً في العلوم الزراعية

٣- "برعوشا" ولد في بابل وكان كاهناً في هيكل مردوخ كان اسمه "بل آشور"

٤- "ابو لونيو الصوري" أمير الرواية ولد في صور.

٥- :اريسترخوا القيرصي" ولد في قبرص كان يعتبر الناقد الأكبر في العالم الروماني

٦- "طيرانس عاقر" ١٩٢-١٥٧ ولد في قرطاجه أيام "هاني بعل"

٧- "كاليتو ماخو" ١٨٧-١١٠ق.م قرطاجي وكان اسمه "اسدرو بعل"

٨- "ديوجين البابلي" ١٨٥-١٢٠ ولد على ضفة نهر دجلة.

٩- " بوصيرون " ١٢٣-٦٠ ق.م ولد في افاميه.

١٠- اتانا دور الكنعاني" ١٥٨-٨٥ ق.م

١١-"انطيوكو عسقلان" ١٣٠-٦٨ق.م

١٢- "فيلو ديمو" ٦٨ ق.م ولد في جدره في الأردن.

١٣-"مليغران الشاعر القرن الأول ق.م ولد في جدره في الأردن

١٤-"كاسيو دينس" ٨٢-١٠ ق.م فينيقي ولد في عوتين قرب قرطاجة

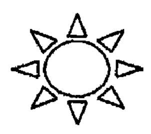
١٥-"مارينو الصوري" أبو الجغرافية ٨٠-٢٠ ق.م

١٦-"نقولا الدمشقي" ٨٠-١٠ق.م ولد في دمشق وكتب تاريخ الأحداث العالمية فــي ١٤٠ كتابا.

١٧-"سيرو الكيم" ولد في إنطاكية ويلقب "بأمير المسرحية" وله حكم ذهبية.
١٨-"ارحمتو الافامي" ولد في أفاميا وكان طبيباً.
١٩-"افراقو" ولد في صور وكان فيلسوفاً وخطيباً ٦٥-١١٥ بعد الميلاد
٢٠-"نيقو ماخو الجرشي ولد في جرش ٧٠-١٣٥ ميلادية فيلسوف
٢١-"طاطيانو" ولد في اربيل من ولاية حلب رجل تاريخ وفلسفة ١١٠-١٨٠ ميلادية.
٢٢- "مكسيو الصوري" ١١٠-١٨٠
٢٣-"غايو" يقال عنه أحد الفقهاء السوريين الخمسة ١٢٠-١٩٦ ميلادية.
٢٤-لوقيان السميساطي ولد في في سميساط على الفرات ناقد وساخر كبير
٢٥-"فيلون الجبيلي" فينيقي من مدينة "جبيل" ١٥٠-٢١٠ ميلادية مؤرخ كبير
٢٦-"بانيانو" ١٤٠-٢١٢ ولد في حمص وكان نسيباً إلى جوليا "دومنا" زوجة الامبراطور "سبشيمو اشترك في وضع الحقوق الرومانية.
٢٧-"اولبيانو" ولد في صور ونبغ في علم الحقوق اشترك في وضع الحقوق الرومانية.

وهناك أسماء أخرى يجدها القارئ العزيز في كتاب الأديب الكبير نواف حردان وعنوانه:"صانعو تراثنا الثقافي الحضاري"

فإلى الجذور أيتها الأجيال الطالعة إلى تاريخ سوريا القديم إن فيه كل علم وفن وفلسفة إلى جدودنا الأقدمين الذين تبنتهم الأمم ونسبتهم سوريا.



موقف النصرانية من الدعوة الإسلامية من ٥٧٠ إلى ٦٥٦ ميلادية :

أولاً : انتشار النصرانية في قلب الجزيرة العربية

بعد انتشار النصرانية في بادية الشام شرقاً وغرباً، امتدَّ انتشارُها إلى الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام. ومن المراجع الإسلامية الموثوقة مثل سيرة ابن هشام، اتضح أن أفراداً وجماعات من قبائل"هزيم وعِذره وجُزام وجهينه وبلي وبَهرا وطي وحنينه" اعتنقوا النصرانية قبل الإسلام وأن البعض من هؤلاء لم يُسلم إلا بعد وفاة النبي محمد .

وأقرب هذه القبائل إلى المدنية هم بنو"هزيم" وكانوا فقراء وضعفاء أما بنو "عذره" فقد نزلوا وادي أضَم في شمالي الحجاز وقد عرفوا برقّة عواطفهم وطهارة نفوسهم. لقد جاء في كتاب الطبقات لابن سعد أن أمهات بعض الأنصار كُنَّ من بني عِذره وكانت منازل جهينة بين المدينة والعقبة وفي سيناء حتى الغرما. أما منازل "بلي" فكانت بين المدينة وتبوك. ومن نصارى "قضاعه" بَهرا الذين منازلهم بين "بلي" ومشارف الشام، كما تاخمت "لحم" حدود الشام. أما منازل بني "طي" و"حنينه" فكانت في قلب الجزيرة إلى شرقي "المدينة"

والأنصار في القرآن هم نصراء النبي بقوله:"والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم (سورة التوبة ٩٩) والأنصار أيضاً في القرآن أصحاب عيسى استنصر بهم من اليهود. "فلما أحسَّ عيسى منهم الكفر قال :"من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله ونشهد بأنا مسلمون". إن لفظه مسلمين اتت قبل ظهور الدعوة المحمدية ومعناها: من استسلم إلى مشيئة الله.

ومن الحواريين كان بطرس ومعه بولص وهو من الأتباع وقد بعث إلى "روميه"و"واندراوس" و"منتا " إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس"وتوماس" إلى أورشليم وهي "إيلياء" قرية بيت المقدس وابن "نكماء" إلى "أفسوس" قرية "أنقية" أصحاب الكهف ويعقوب إلى أرض البربر ويهوذا (عن سيرة ابن هشام)

فيكون النصارى عند العرب انئذٍ، هم أنصار عيسى وأنصار أنصارهم كما يكون واحدهم نصرانياً. ومن هنا جاءت الآية:{ لتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى}

فتكون النصرانية بالتالي دين النصارى. انقلبت اللفظة إلى مسيحيه بعد عدة قـــرون وتمـــر الأزمان وتبقى هذه الشعلة في النفوس. منها حنظلة الطائي ينعزل عن قومه ويبنـــي ديــراً بالقرب من الفرات وفيه يترهب ويموت.

وهاك قس بن ساعدة يتقفىّ القِفار ويأنس بالوحوش والهوام. وكلهم يزهـــدون فـــي الدنيـــا ويدعون إلى النظر في الكون والاعتبار بحوادثه.

وصول النصرانية إلى مكة :

من المتفق عليه لدى جميع المؤرخين أن بعض النصارى من الأحباش كانوا يأتون إلـــى مكة لقضاء حاجاتهم وعلاوة على ذلك كان أمجاد قريش من تبرموا بعبادة الأوثان أمثـــال: الشاعر أميه بن أبي الصلت الذي كان مكباً على قراءة الكتب ولبس المسوح والتعبد.

وكان ورقة بن نوفل الذي عرف الإنجيل ونقل بعضه إلى العربية. ومن القرشـــيين أربعـــة وهم ورقه بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحورث وزيد بن نفيل الذين كما يقـــال "خلصوا نجياً" أي استيأسوا وقال بعضهم لبعض " تعلموا والله ما قومكم علـــى شـــيء" (أي يعبدون الأوثان) لقد أخطاؤا دين أبيهم ابراهيم. ماحج تطيف به لا يســـمع ولا يُبصـــر ولا يضر ولا ينفع" وأما ورقة بن نوفل فقد استحكم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها.

وأما ابن جحش فقد استحكم إلى الحبشة ثم تنصرَّ ومات نصرانياً.

وكذلك ابن الحورث فقد لجأ إلى قيصر وتنصر. وابن "نفيل" لم يدخل في اليهوديـــة ولا في النصرانية، ومع هذا أنه فارق دين قومه واعتزل الأوثان، وخلاصة القول أنه عند بـــدء ظهور النبي محمد كان التبشير بالنصرانية قد دقَّ أبواب الكعبة كما أشرنا إلى ذلك أعلاه.

ومن أخبار النصرانية والنصارى في مكة قبل ظهور الإسلام أن حليمة الســـعدية أم النبـــي محمد بالرضاعة عادت بالنبي الطفل إلى مكة، علماً بأن محمد هو ابن عبد الله الذي توفـــي قبل أن يولد محمد بثلاثة أشهر

وأما أمه آمنة فقد توفيت أيضاً بعد ولادته ببضعة أشهر فعهد بالطفل محمد إلى حليمـــة أم النبي بالرضاعة. وعندما أتت بالطفل إلى مكة رآه نفر من الأحباش رغبوا في أخذه إلـــى

مَلِكهم في الحبشة. غير أن ورقة بن نوفل رفض طلبهم وأتى بالولد إلى جده عبد المطلب قائلاً له" هذا ابنك وجدته بأعلى مكة (عن ابن هشام في كتابه السيرة).

محمد عند أبي طالب وراهب بحيره :

أحب أبو طالب بن عبد المطلب محمداً حتى كان يقدمه على أبنائه. وكان أبو طالب يترأس قوافل إلى الشام. وفي إحدى الرحلات وكان محمد قد بلغ الثانية عشرة ابدى رغبة حارة في مصاحبة عمه. وهكذا تمّ ولما وصلت القافلة إلى بصرى نزل بالقرب من صومعة الراهب بحيره فرأى بَحيره محمداً كما رأى غمامة تُظلله. فأرسل إلى الركب يقول: إني قد صنعت لكم طعاماً فأحضروا كلكم، كبيرُكم وصغيرُكم. فاجتمعوا إليه وتخلف محمد لحداثة سنه. فأصرَّ الراهب على حضوره فحضر. راح بحيره يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده؛ حتى إذا ما فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بَحيره وسأله عن أشياء من حاله فأخبره الرسول فوافق كلامه ما كان عند الراهب من صفاته. وعند ذلك نظر الراهب إلى ظهر الرسول فرأى خاتم النبوة بين كتفيه وكان مثلَ أثر المحجم. ولما فرغ أقبل على عمه أبي طالب وقال له: "أرجع ابن أخيك إلى بلدك واحذر عليه من اليهود فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليَبْغُنَّه شراً.(عن سيرة ابن هشام).

خطباء النصارى :

لم يفد أبو طالب إلا القليل من رحلته إلى الشام فأقام في مكة ومعه محمد. وفي أثناء ذلك كانت تفد إلى مكة الخطباء وأصحاب المعلقات ومن بينهم اليهود والنصارى الذين كانوا يأخذون عن العرب وثنيتهم كما كانوا يحدثونهم عن الإنجيل والتوراة وكان محمد يصغي إلى أقوالهم ويرى فيها خيراً من هذه الوثنية التي غَرق فيها أهله (عن محمد حسنين هيكل)

الراهب نسطور :

رعى محمد وهو صغير غنم أهله وغنم أهل مكة فاشتد تعلق أبي طالب بمحمد ورغب في أن يجعل له رزقاً أوسع. وما كان منه إلا أن ألحقه بالقوافل التي توجهها المثرية

خديجة إلى الشام بقصد التجارة. وكان محمد يومئذ في الخامسة والعشرين من عمره.
وافقت خديجة على استخدام محمد فخرج مع ميسره غلامها، وانطلقت القافلة في طريق الصحراء إلى الشام، حيث تحدث مع رهبانها كما تحدث مع الراهب نسطور وسمع منه ولعله جادله.

محمد وأول الوحي :

تزوج محمد من خديجة ابنة عم ورقه بن نوفل وتيسَّر له التفكير والتأمل. وكان يلجأ في شهر رمضان إلى غار "حَّراء" للتأمل. وفيما هو في الغار جاءه ملاك وفي يده صحيفة وقال: اقرأ فقال محمد ماذا أقرأ : فقال الملاك:{ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علمَّ الإنسان مالم يعلم"

وتنبه محمد جذعاً ودخل علي خديجة وقال: "زملوني" وقد اشتدت عليه الحمي فانطلقت خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل أخبرته بما رأى محمد.
فأطرق ورقة وكان نصرانياً كما ذكرنا وقال" قدوس، قدوس، قدوس. والذي نفس ورقة بيده لئن يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وأنه لنبي هذه الأمة فقولى له : فليثبت .

وخرج محمد للطواف بالكعبة فلقيه ورقه. وإذْ أخبره بما رأى قال ورقة "والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة" ولَتَكَذَّبنَّ ولَتُؤذيَّن ولتخرجن ولتقاتلن ولئن أنا أدركت ذلك اليوم، لأنصرنَّ الله نصراً يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه (عن ابن هشام).

انطلاق الرسالة وانتشارها :

في الحبشة – كان النجاشي مسيحي لا يُظلَم أحد عنده كما كان يقال. ونزلت سورة الضحي وعلم الله محمداً الصلاة وصلَّت خديجة معه واسلم علي ابن أبي طالب وأبو بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وسعد والزبير. وتحدث الناس عن محمد وظنوا أن حديثه لن يزيد على حديث الرهبان والحكماء أمثال قس وأميه وورقة وقال إنه النذير المبين فأعرضوا عنه وانصرفوا مستهزئيين.

ومن هنا انتقل محمد إلى أهل مكة جميعهم وصعد على الصفا ونادى فنهض أبو لـــهب وقال: تباً لك. فجاءت الآية"{ تبت يدا أبي لهب} فحارب أشـــراف قريـــش محمـــداً واشـــتدّ الصراع المميت بينهم.

وفي أوار هذا الصراع نصح محمد قومه أن يتفرقوا في الأرض داعياً إيـــاهم للذهـــاب إلى الحبشة المسيحية. وبالفعل خرج المسلمون إلى الحبشة في هجرتين وقد نقل جعفر ابـــن أبي طالب معه إلى النجاشي بعض ما جاء في سورة مريم حيث تقول: { فأشـــارت إليـــه، قال:" كيف نكلم من كان في المهد صبياً؟ قال أنا عبد الله، آتاني الكتـــاب وجعلنـــي نبيـــاً. وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيـــاً وبـــراً بوالدتـــي ولـــم يجعلني جباراً شقياً. والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً"

جبر النصراني :

وفي أثناء الهجرة إلى الحبشة أسلم عمر بن الخطاب وعادوا إلى مكة. فعـــادت قريـــش إلى مناهضة الدعوة المحمدية. وكان محمد يُكثر من الجلوس عند المَروَه حيث يلتقي غلامـــاً نصرانياً يقال أنه جَبْر عبد لابن الخضرمي. وكانوا يقولون :"والله ما يُعَلم محمداً كثيراً ممـــا يأتي به إلا جبر النصراني غلام ابن الخضرمي فجاءت الآية :{ولقد نعلم أنهم يقولون إنمـــا يعلمّه بشر. لسان الذي يلحدون إليه. أعجمي وهذا لسان عربي مبين}

واستمر محمد في دعوته ويزداد أنصاره عدداً وحمية فوقعت الحروب المتواصلة بيـــن أتباع محمد والقرشيين وبنتيجة هذه المعارك استطاع أنصار محمد التغلب على خصومـــهم فتم لمحمد النصر المبين بدخوله مكة والسيطرة عليها.

وفي أثناء احتدام المعارك وفد على محمد ستون راكباً من نصـــارى نجـــران بينـــهم العاقب أميرهم واسمه عبد المسيح والسيد اسمه الأيهم وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكـــر ابن وائل وهو أسقفهم وحبرهم أو إمامهم وصاحب مدارسهم . ولما وصلوا المدينـــة كـــان محمد فيها فدخلوا عليه في مسجده حين كان يصلي صلاة العصر، وحينئذ حانت صلاتـــهم فقاموا يصلون في المسجد نفسه فقال الرسول: "دعوهم" فصلوا إلى المشـــرق ثـــم كلمـــوا

الرسول. ولما كلمه الحبران قال لهما :"أسلما" قالا: قد أسلمنا. قال إنكم لم تسلما. قالا بل قد أسلمنا قبلك. قال: كذبتما. يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير. قالا: فمن أبوه يا محمد. فصمت عنهما ولم يجبهما ونزلت الآية في سورة آل عمران كمايلي:

" لله لا إله إلا هو الحي القيوم...إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبقرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين. ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين. قالت ربي أنّى يكون لي ولدّ ولم يمسسني بشر. قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون : الحق من ربك فلا تكن من الممترين. فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءَنا ونساءكم وأنفسنا ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً. أيأمركم بالكفر بعد إذْ أنتم مسلمون"

وعلى أثر ذلك ومن مآثر الدعوة المحمدية أن سلمان الفارسي وهو نصراني من بلاد فارس وكان ذكياً واسع الاطلاع وإذْ التقاه محمد في يثرب أعتقه وجعله من صحبه وأخصائه. وحكاية سلمان الفارسي قبل التحاقه بمحمد هي كمايلي:

قال ابن اسحق أن سلمان الفارسي قال: كنت رجلا فارسياً من أهل أصبهان وكان أبي دهقان قريته. وأمرني يوماً بالذهاب إلى ضيعته. فخرجت ومررت بكنيسة من كنائس النصارى. فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون. فدخلت فأعجبتني صلاتهم وقلت والله خير من الدين الذي نحن عليه نعم قلت أين أصل هذا الدين؟ قالوا بالشام. فرجعت إلى أبي فقال: ليس في هذا الدين خير. دينك ودين آبائك خير منه. فقلت له: كلا إنه لخير من ديننا. فجعل في رجلي قيداً وحبسني. فبعثت إلى النصارى وقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبروني بهم. فقدم عليهم ركب من تجار النصارى فخرجت معهم حتى قدمت الشام ولما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علماً ؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة. فجئته وقلت

له إني قد رغبت في هذا الدين فأحببت أن أكون معك. أخدمك وأتعلم منك وأصلي معـــك. قال ادخل فدخلت معه. وكان رجلَ سوءٍ يأمرهم بالصدقة ويُرغّبهم فيها فإذا جمعـــوا إليـــه منها شيئاً اكتنزه لنفسه. فأبغضته بغضاً شديداً. وبعد وفاته جاؤوا برجـــل آخـــر وجعلـــوه مكانه.

وأحببت هذا الرجل حباً عظيماً فأقمت عنده زماناً .

ولما حضرته الوفاة سألته بمن توصي إلي من بعدك فألحقني برجل في نصيبيـــن وأقمـــت عنده ولكن مقامي عنده لم يطل. وقبل وفاته ألحقني برجل في عمورية فأقمت عنده ثم نـــزل به أمر الله . وسبق وسألته إلى من توصي بي فقال : والله ما أعلمه أصبح أحدٌ مثل ما كنـــا عليه وهو مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرة إلى أرض بيني"هرتين بينـــهما نخل به علامات لا تخفى. يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة.

وبين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت فافعل"(عن سيرة ابن هشام)

والآن قد أتينا على الفصل الأول من هذا الحديث الذي يبين لنا أولى معـــالم نبـــوة محمـــد وكيف أن معشر النصارى استقبلوا هذه النبوة بحرارة وإيمان من الكعبة على لسان ورقـــة ابن نوفل إلى بصرى الشام على لسان الراهب بَحيره ومن الموصل إلى نصيبين في بـــلاد الشام وإلى الحبشة. إنه تراث موثق وله دلالات عظيمة.

والآن ننتقل إلى فصل آخر نبين فيه نشاط التلاقي بين المحمدية والنصرانية .

تعاليم الإسلام الرئيسة وتلاقيها مع المسيحية :

يقول الإسلام :

١- هو الله لا إله إلا هو رب العالمين. خلق السماوات والأرض وما بينهما. وقـــد اختـــار أفراداً من خلقه واتصل بهم بالوحي ومن هؤلاء ابراهيم وموسى وعيسى

٢- على المسلم أن يقيم الصلاة ويأتي الزكاة وعليه أن يبتعد عن الفحشاء والمنكر.

٣- عليه أن يعدل ويعفو عند المقدرة . وأن يفي بالوعد ويَصبر عند الشدائد .

٤- عليه أن يردَّ التحية بأحسن منها. وأن يستأنس قبل الدخول إلى بيوت الغير وأن يســـلم

على أهلها.

٥- والمؤمنون أخوة أكرمهم عند الله أتقاهم وعليهم طاعة الله وطاعة الرسول وأولي الأمر منهم. ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٦- على المؤمنين أن يؤمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل "أي الإنجيل"

٧- وعليهم أن يروا في الإنجيل والتوراة تصديقاً لما جاء في القرآن نفسه. { يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا وصدقاً لما معكم}

٨- وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فيه فأولئك هم الفاسقون}

هذه بعض من مبادئ الإسلام الجوهرية نراها بوضوح تتفق في معظمها مع المبادئ المسيحية وكأن الدينين دينا واحداً أتى كل منهما بشرائع تتلاءم مع البيئة الاجتماعية التي ظهر فيها، وكل منهما من أجل تحرير الإنسان وصفاء روحه. غير أنه وللأسف الشديد أن رجال الدين من الطرفين امتدت سلطتهم على الرعية فسيسوا الدين واجتهدوا ما طاب لهم وفسروا التعاليم اسوأ تفسير فخلقوا بذلك التعصب الطائفي معرضين عن المآثر التي رافقت الدعوتين قبل ظهور كل منهما وبعده مما أدى إلى العداوات الطائفية دون روية أو حكمه.

الأقباط في مصر :

يفخر الأقباط في مصر بأربعة تيارات تاريخية ثقافية كمايلي :

١- قدوم العائلة المقدسة إلى القطر المصري هرباً من اضطهاد ملك اليهود "صيرودوت اغريبا " الذي كان يسعى إلى قتل الطفل يسوع .

٢- تأسيس كنيسة الإسكندرية على يد الرسول مرقس

٣- النشاط الفكري في مدرسة الإسكندرية

٤- تأسيس الرهبنة التي وجدت في أرض مصر مهداً لنشأتها وترعرعها والعصر القبطي بالذات يقسم على النحو التالي :

١-عصر سيادة الثقافة الإغريقية ويمتد من سنة ٣٠ ق.م أي من الفتح الروماني حتى عام ٣١١ أي عام صدور مرسوم التسامح الديني الذي أصدره الإمبراطور قسطنطين فأصبحت بعدئذ الديانة المسيحية إحدى الديانات المعترف بها رسمياً في الدولة الرومانية.

٢- مرحلة استقرار المسيحية وسيادة القبطية وهي تمتد حتى أوائل القرن الثامن أي منذ سنة ٧٠٦م.

٣-مرحلة سيادة الثقافة العربية وتمتد من أوائل القرن الثامن حتى الآن وأخذت الثقافة القبطية خلال هذه المرحلة، تتلاشى تدريجياً منصهرة في الثقافة العربية لتحل اللغة العربية محل اللغة القبطية في جميع المجالات.

كما أن قسماً كبيراً من الأقباط أسلم بعد أن انتشرت مسألة التعريب وترسخت، مقترنة بحرمة التأسلم.

في البلاد العربية :

عندما تذكر المصادر القديمة للبلاد العربية فإنها تقصد الديار المحدودة بالبحر الأحمر وخليج اليمن وبحر عمان وخليجه وفي الشمال صحراء سوريا ولم تكن تتجاوز الحجاز جنوباً.

وهكذا وبعد انتصار العرب المسلمين في اليرموك سنة ٦٣٦ وقعت منطقة الديار العربية في أيدي المسلمين وكانت بصرى أول مدينة يونانية رومانية تسلّم أمرها للفاتحين سنة ٦٣٤ وقد حاول النظام الكنسي أن ينسجم مع الحالة الجديدة بحيث لم تنقطع حركة تشييد الكنائس سنة٦٣٣و٦٤١و٦٥٢ ولكن كل كنسية كان يرئسها أسقف لا يقل عمره عن الخمسين سنة وكانت السلطة كلها بيده. وللأسقف معاونون هم الشمامسة يساعدونه في التعمير ومراعاة النظام في الكنسية ويوزعون الصدقات ويزورون المرضى وكل ذلك تحت إشراف الأسقف وبرعاية نظام الحكم القائم. ومن الرهبان الشهيرين في التاريخ الإسلامي كان الراهب بحيرة في بصرى وسطيح في خرائب النبطية ونسطور.

أما فرسان وأشراف العرب فمنهم: أبو سفيان بن حرب وأمية بن أبي الصلت وحسان بن ثابت والرهبان السوريون .

والآن، لابدَّ من عود على بدء وشرح موقف رهبان بلاد الشام من الدعوة النبوية الإسلامية, فمن مكة حيث يقيم أسقف مكة ورقه بن نوفلٍ إلى رهبان بصرى ومنهم بَحيره وسطيح ونسطور كان حسان بن ثابت الذي أصبح فيما بعد شاعر الرسول غارقاً في تأملاته في محلة "البيعة" في بصرى وقد أسكرته صلاة المصلين والأنغام الكنائسيه، وإذ هو على هذه الحالة يطل عليه أبو سفيان بن حرب وبتفرس في ملامحه ويقول له: أيُ حافز حفزك إلى هذه النواحي؟ قال: أتيتها في تجارة مع أمية بن أبي الصلت، شاعر الطائف فنحن في زمن كثرت فيه الأحاديث عن ظهور نبي كريم عند العرب. فقال: ومن لقنك هذا الحديث؟ أجابه: سمعته في البلقاء وكان قس بن ساعدة خطيب العرب يدعو الناس إلى طاعته. ثم عدت وسمعت نفس الحديث من بَحيره الراهب . فقال أبو سفيان : أتحسب زمن هذه النبوة بعيداً " فأجاب كلا. ولقد أمنت بالنبي قبل بعثه. وما هي ألا برهة وجيزة حتى لاح لهما طيف متلحف برداء أسود يقترب منهما بخطى واسعة وإذ به أمية بن أبي الصلت.

بعد أن اجتمع الفرسان الثلاثة تذاكروا في زيارة الراهب بَحيره وكان ذلك بناء على دعوته لهم. غير أنهم عدلوا عن ذلك ودخلوا أسواق دمشق.

في سنة ٥٨١ استأنف أبو سفيان بن حرب سفره إلى الشام ومعه في القافلة من صحابته أمية بن أبي الصلت شاعر الطائف الذي كان يلتمس في رحلته إلى الشام الاجتماع إلى بعض أعلام النصرانية.

وهكذا تمَّ لهم الوصول إلى بصرى حيث أدت لهم التحية مواكب فرسان غسان. وقضى ليلته سيد بني أمية في قصر "صرح الغدير" وعلى مقربة منه أمية بن أبي الصلت. وفي الصباح الثاني بكر أمية في نهوضه وإذ به عن كثب من الراهب بَحيره نفسه فقال أمية: لقد تلاقينا في البلقاء أكثر من مرة واحدة. كما تلاقينا في صيف السنة الدايرة هنا في قصر "جفنة" وفي المرة الأولى كشفت لي عن بعث نبي في العرب فهمس الراهب بقوله: بلى،بلى. وفي المرة الثانية قلت لي إنَّ هذا النبي يوشك أن يطل. فأجاب بجيره متحمساً: نعم، نعم فقال أمية: إذن فأي حديث جديد تريد أن تكشف لي عنه في هذه المرة الثانية؟

ففتح الراهب عينيه وكأنه قد أفاق من حلمه فإذا ذهنه يتلألأ ثم تقدم من أمية قـــائلاً: "انظـــر من هذه الشرفة إلى الصحراء.حدّق طويلاً إلى هذا الرمل المنبسط الذي تحمله إلينـــا باديـــة العرب. هنالك في هذا الرمل الذي تعصف به شتى الرياح تسير فيه قافلة مطمئنـــــة. وفـــي هذه القافلة تجارة إلى بصرى.

نعم حدق طويلاً في هذا الرمل المنبسط وانظر إلى ناحية هذه القافلة التي تســـير فـــي أرض لا ينبت فيها الزهر والآس وإذا نظرت إلى هذه القافلة وتبينت ملامح أفرادها بدا لـــك صبي كعقد الجمان في وميضه وإشراقه. ولا لك في هذا الصبي المجيد الناموس الـــذي لاح لموسى وعيسى. ولقد ولد النبي في أشرف القبائل بل من أكرم البيوت"

لم ينبس الشاعر ببنت شفة ولكنه همَّ بالخروج إلى الدير خاصة وأنه لم يرَ رمـــالا ولا قافلة. فاستوقفه الراهب بعد تأملاته تلك وقال: فيم إجفالك؟ أيُرمضك كثيراً أن ينبـــت فـــي الحجاز هذا النبت المتأرج؟ أن في العراق الفرسَ وفي الشام الرومَ وأنتم بين هؤلاء وأولئـــك في صحراء لا تدرُّ لبناً ولا تُنبت حبًّا.

واعجبا هذه المراعي الفينانة والينابيع الهتا نه كلها لكم ثم بعد هذا كلـــه تـــأتون بالمـــاء فتشربونه آسناً غير سائغ؟!

قال بَحيرة هذا كله وراح يصلي.

وأما أمية بن أبي الصلت فقد التحق بأبي سفيان وقصَّ عليه ما دار بينه وبين الراهـــب بَحيرة : فقال أبو سفيان : إني لأعجب من هذا الحديث الذي هو على شاكلة أحاديث ورقـــة بن نوفل في سوق عكاظ.

وهكذا وبعد هذا اللقاء التاريخي عاد أمية وأبو سفيان ليلتحقا بحسان بن ثابت في قصـــر المنذر الغساني الذي كان يغصُّ بالزائرين من أشراف البلقاء وحوران وتدمر والشام

الفرسان الثلاثة عند الراهب سطيح :

بناء على نصيحة الراهب بَحيره واستكمالاً لما أفاض به إليهم عن نبوة محمـــد توجـــه الفرسان الثلاثة للاجتماع بالراهب سطيح القائم فوق سفوح الجبال وفي أطلال النبطية.

وبعد الكثير من المشقات وهدي الذاهبين إليه طلع عليهم الراهب سطيح من مغارة ويحمله رجلان حتى دكة عالية: وما أن بدا للجموع حتى همس بعضهم قائلاً: ما أبشع منظره وكان سطيح يُدرج كما يُدرج الثوب، لا عظم فيه إلا الجمجمة وكان وجهه في صدره وكأن ليس له رأس و لا عنق وكان سطيح من الكهان العرافين ينزعون إليه في تعرف الحوادث ويتنافرون إليه في الخصومات .

وانبرى " شن" صديق الراهب سطيح في تقديم صديقه بلهجة بارعة فخمة قال فيه أبو سفيان:"أنه أخطب العرب بعد قس بن ساعدة.

ثم قدم سطيحاً ليقول خطبته جاء فيها :

" أيها الرعاة في الجبال الجرداء، نهوضاً من هذا الرماد الذي يغطّي العيون والنفوس والذي يحجب عنكم آفاق الحياة المرحة الوادعة افتحوا عيونكم لهذا الفجر الذي تمتدُّ ظلاله من بادية الحجاز إلى بادية الشام، فإنكم ستبصرون في توردُه ولَمعانه وزخرفه طليعة زحف جديد إلى سهول فتانة وحقول فينانة ومدن حالية بالنعيم وأمصار لا تغشاها الغيوم، وستكونون أصحاب هذا الزحف الميمون،إذْ توغلون في الأرض ايغالاً وترثون هذا الذي احتوته الغبراء والدماء .

بلى وستكونون أحراراً لهذا الهواء المنسجم العذب. وستحفل بيوتكم بالأنوار التي لا تَخبو! وسيكون لكم في منتأى من الأرض راية خفاقة وظل ممدود.

أيها الرعاة، انظروا إلى هذه الصحراء المتطامنة إلى حرها وهجيرها العائشة في صمت جبالها الغارقة في سكون أفقها أنها ستنحسر عن روح سامية تمشي بكم إلى شتىّ الآفاق فيكون لكم في البرّ والبحر الملك الضخم الذي لا يبلى والمجد الذي لا يفنى والفضيلة التي تغسل حدباء النفس وسيمشي بكم هذا الروح الأسمى إلى دين جديد تعرفون به ربّاً محسناً جوّاداً عادلاً كريماً ينقذكم من جحيم هذا البؤس الذي تصطلون بحره. ثم نُطل بكم على أُفق يمور بالطمأنينة والسكون والراحة وكذلك سيشق بكم العقل والفكر والذكاء الملتمع حتى إذا بدت لكم هذه الطبيعية التي ترون اصطنعتم العقل والذكاء في فهم مقاصدها وحُذق أغراضها وسيرفع شأن الأسرة ويقوم الحب مقام البغض، وينسجم الناس فلا بغض ولا ثأر . ستقولون من أين جاء سطيح بكل هذا وستسألون أين هو ذلك الروح

وستقولون أيضاً: نحن فقراء وأرضنا لا تَنبت حباً ولا يغشاها ظل رخيٌ وسماؤنا عريقة في شحها وإملاقها فكيف تَنبت هذه الزهرة المحسنة في هذه الأرض البخيلة الضنينة؟

افتحوا عيونكم حدقوا إلى الصحراء إنه يمشي في موكب فخم من الجلال والرونق. بلى! إنه يمشي فوق رؤوس العصور البعيدة ليُطل من وراء شمسها الغاربة على فجر العصور الجديدة التي سيخلقها بيده خلقاً. يُخيل إلي أني أراه... بلى! يُخيل إلي أني أراه هو فتان كهذه الشمس التي تسطع على هذه النواحي، وبهي كهذا الفضاء المتورّد المُصَحّي، وعظيم رائع كالبحار ووديع كالزهرة الضاحكة في أحضان الخمائل.

وهذه الأصنام، هذه الأصنام التي خُيِّل إليكم في الماضي أنها تحمي أحياءَكم وأمواتكم، وأنها تمنحكم الصحة والشباب والحب والمرح، ستنهار تحت قدميه لأنها تعيش بينكم في غير فضيلة، ولأنها لا تملك شيئاً من الصحة والشباب والحب والحياة .

وستمشون تحت لوائه إلى عبادة موثقة تكفل لكم الصحة والحياة وتفتح أمامكم أفقاً جديداً منعتكم هذه الصحراء المشبوبة أن تروه".

لم يقل سطيح أكثر من ذلك على سامع أقوام متعددي الجنسيات حتى انهال هؤلاء الناس عليه بالسؤال. قال بعضهم:

– أين نجد هذا النبي الذي حدثتنا عنه؟

فصاح سطيح :

– انطلقوا إلى مكة فإن فجره قد انبثق في تلالها وجبالها.

وسأل سائل :

– فمن هذا النبي؟ فقال :

– من وُلد غالب بن نهر بن ملك بن النَّضَر، يكون الملكَ في قومه إلى آخر الدهر. فقال له قائل : وهل للدهر آخر يا سطيح ؟ فأجاب :

– نعم! يوم يُجمع الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون.

وسأل سائل :

– أحقٌ ما تقوله يا سطيح؟ أجاب

– نعم والشفق والغسق والعلق إذا اتسق أن ما أخبرتكم بح لَحق.

وبعد ذلك تفرق القوم وفي نفوسهم روعة ما سمعوا وكل واحد يتحدث عما انبأ به سطيح.

وهكذا صدق ورقة بن نوفل بما انبأ به في مكة وصدق سطيح في أطلال النبطية بما أجاد في وصفه عمن بعث محمد نبياً يجمع شمل العرب ويهديهم الصراط المستقيم.

سيطرة النبي محمد على الحجاز والجزيرة والانتصار على الفرس والرومان في سوريا :

امتدت دعوة محمد إلى جميع أطراف الجزيرة وبلاد الشام فتحركت خصوصيات زعماء القبائل وبدأ الصراع بين أتباع محمد وهؤلاء الزعماء، وكان النصر إلى النبي محمد وأتباعه حتى أتي على جميع النزعات ورضخت له. وبعد ذلك ما كان إلا أن وجه جيوش العرب إلى مشارف الشام. ومن هناك أنذر ملك فارس وقيصر الروم بأن يدفعوا الجزية وإلا يواجههم بالحرب.

ولما رفضوا الإنذار وقعت الواقعة بين جيوشهم وجيوش العرب فتم للعرب النصر على روما وفارس وأصبحت بلاد الشام والعراق مفتوحة أمامهم فتم دخولها بلا خسائر وعلى أساس المصالحة بينهم وبين نصارى هذه البلاد. في جوّ من التحرر والانتصار إلى الحضارة العربية.

استمرار النصارى في دعم الحضارة العربية :

واستمر النصارى في دعم الحضارة العربية وكان منهم أعلام كثر وهم :

١– الشعراء وعددهم خمسة وعشرون، مؤكدة مسيحية بعضهم ومرجحة للبعض الآخر .

٢– الشعراء المخضرمون وعددهم أربعة عشر

٣- شعراء الدولة الأموية وعددهم أحد عشر

٤- شعراء الدولة العباسية وعددهم اثنان وثلاثون

أطباء وصيادلة وعددهم ثمانية وتسعون. وبعضهم علاوة عن الطب كتبوا في الفلسفة والتاريخ والدين والخلق والآداب المسيحية والهندسية وعلم النفس والفلك.

ويستمر المسيحيون اليوم بالانتصار إلى الحضارة العربية في جميع المجالات .

وصول الإسلام إلى أبرشيات أنطاكية

فتح دمشق وأبرشيات أنطاكية :

لما فرغ أبو بكر من أمر أهل الردة بعد وفاة النبي، عقد ثلاثة ألوية لثلاثة رجال : يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنه وعمرو بن العاص، وكل أمير يرأس سبعة آلاف وخمسمائة مقاتل، بينما كان خالد بن الوليد في العراق بعد أن هزم فارس وقد ساعدته في هذه الهزيمة قبائل بني شيبان المنتمون إلى بني تغلب المسيحيون .

هاجم المسلمون سرجيوس في وادي عربة شرق بحر الميت وغربه وتغلبوا عليه.

ولما وصل عمرو بن العاص إلى حدود فلسطين كان لا بدّ له من الاستعانة بخالد بن الوليد الذي التحق به فوراً. وبدأت تسقط صلحاً أكثر مواقع الروم الواحد تلو الآخر حتى وصلت جيوش العرب إلى دمشق. فحاصروها ستة أشهر. وفي هذه الأثناء توفي أبو بكر سنة ٦٣٤ وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب. وقد انتهى حصار دمشق بفتح سور المدينة أمام خالد بن الوليد بالتفاهم مع أسقف المدينة وكان ذلك بعد أن كتب خالد بن الوليد عهداً على نفسه هذا نصه:"باسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها لقد أعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم. ولا يُسكن شيء من دورهم، لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله (صلعم) والخلفاء والمؤمنين. لا يَعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية".

وعند ذلك فتح باب شرقي إلى خالد بن الوليد وباب الجابية إلى عبيده. وبعد سقوط دمشق بدأت المدن السورية تسقط صلحاً في أيدي المسلمين على غرار ما حدث في

دمشق. والمسيحيون كانوا مطمئنين إلى الدعوة الإسلامية ساعدهم في ذلك ما سبق وسمعوه من الرهبان أمثال ورقة .بن نوفل في مكة وكل من بحيرة ونسطور وسطيح في حوران .

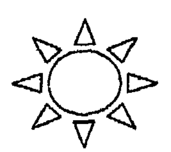
ولقد أيدَّ هذا التعاون الإسلامي المسيحي الأستاذ نجيب الريس في مقالة مصوباً المفاهيم المغلوطة تحت عنوان " ارثوذكسية القومية العربية نشرت في مجلة الناقد يقول فيها:"هناك حدثان تعلمتهما في المدرسة وهما أنه كان للنصراينة الأرثوذكسية يومان أغران في تاريخ العرب القومي. يوم في الشام ويوم في العراق . أما في الشام فقد كان حين رفض النصارى العرب أن يحاربوا في صفوف الجيش الروماني وانضم كثيرون منهم إلى صفوف العرب المسلمين وقاتلوا جنود قيصر. وأما اليوم الثاني ففي العراق حينما انضمَّ المتنبيُّ بن حارثة على رأس قبائل بني شيبان إلى جيش سعد بن أبي وقَّاص في فتح بلاد العجم وفي قتال كسرى.."

وفي موقع آخر من مقالته يقول الأستاذ الريس:"إن النصارى العرب ليسوا بحاجة إلى شهادة لا في الوطنية ولا في العروبة من قبل كاتب صحافي مسلم مثلي، ولو كان مستقيم الرأي، ولا من أمثالي، بل لعلَّ التذكير بما قاله عبد الرحمن الكواكبي الحلبي العربي المسلم وأحد روّاد عصر النهضة العربية في القرن الماضي، تلك النهضة التي أضعناها اليوم، ينفع المؤمنين. فيقول الكواكبي في ختام كتابه "طبائع الاستبداد" مايلي:"أيها العرب المسلمون أعلموا أن الاستبداد لَمن أشدّ المظالم فاخلعوه إن كنتم مؤمنين وأنتم أيها العرب غير المسلمين تناسوا ضغائنكم أنتم الأولون الأكثر تنويراً وثقافة.

وعليكم أن تجدوا الوسيلة لتوحيد الصفوف فلنتحد ولنصرخ قائلين لتحيا الأمة ليحيا الوطن ولنعش أحراراً كرماء.

وقد استجاب إلى ندائه الزعيم أنطون سعاده بإعلانه:"أن كل سوري هو مسلم لرب العالمين. منا من أسلم للّه بالإنجيل ومنا من أسلم للّه بالقرآن ومنا من أسلم لله بالحكمة وليس لنا من عدوٍ يحاربنا في ديننا ووطننا غير اليهود".

هذا ما كنا عليه ولا نزال فإلى ينبوع الدعوة المحمدية والمسيحية نستقي منـــهما شـــعلة الإيمان لخير السوريين العرب والعرب أجمعين ولخير الإنسانية قاطبة.



من التراث الحضاري السوري
أمثال وحكم ونواهي وأوامر ونصائح حكيمة
كنعاني وسومري وأكادي

الوحدة الحضارية في سوريا الطبيعية في الأمثال

والنصائح والإرشادات في مهد السومرية :

ما من أمة إلا وسجلت حضارتها عبر السياق المتحرك في الزمن في مجالات عديدة من إبداعات مادية وفكرية وأخلاقية واجتماعية، وعلى قدر نموّ هذه الإبداعات أتت الأمثال والإرشادات دليلا عليها وعلى ارتقاء الأمة في سلم الحضارة.

ولقد امتاز السوري القديم بنظرته للكون والحياة ميزة خاصة بعد أن امتزجت الأقوام بعضها مع بعض سواء من سكان أصليين أو ممن نزحوا إلى سوريا من الجزيرة العربية من اكاديين وآشوريين وكلدان وكنعانيين وارامبين وغيرهم، وهذا المزيج السلالي المميز أنشأ الشعب السوري الذي هو جزء مميز من شعوب العالم العربي.

والشعب السوري الذي بدأ تاريخه في مطلع الألف العاشر قبل الميلاد امتاز بمراقبة سلوك الإنسان فحاك حوله العديد من الأساطير والحكايات والأمثال والإرشادات.

فالأمثال والإرشادات التي وصلت إلينا منذ العهد السومري والاكادي أي منذ الألف الثالث قبل الميلاد إنها ثمرة تأملات واختبارات إنسانية موغلة في القدم لم تصل إلينا إلا بعد اكتشاف الكتابة وتدوينها فهي تعود حتماً إلى آلاف السنين قبل كتابتها حتى أصبحت تعتبر حقائق ثابتة جاءت بصيغة أمثال وحكم.

إننا في هذا المقال نستعرض ما تداوله السومريون والأكاديون والكنعانيون الذين غطوا مع غيرهم كامل رقعة سوريا الطبيعية.

بعد اندماجهم وانصهارهم معاً في متحد مميَّز. إليكم ما جاء على لسانهم وكله مدون على لوحات فخارية اكتشفها علماء الاركيولوجية.

في العهد السومري في وادي الرافدين :

اشتهر العهد السومري بالأمثال التي درجت على ألسنتهم كمايلي :

١-"لقد ولِدت يوم نحس" إنه لسان حال من يعزو إخفاقة إلى القضاء والقدر" فيظل يشكو دائماً.

٢- ":يكون حمل بلا جماع"

"وهل تحدث سمنة بلا أكل"

وهو قول الذين يحبون دائماً التأويل والشرح.

٣-وقولهم في الأفراد الفاشلين:

"لو وُضعت في الماء لفسد الماء"

ولو وُضعت في البستان لبدأت أثماره تفسد"

٤-وقيل فيما يساور الناس من قلق بسبب الأحوال الاقتصادية:

"كتب علينا الموت فلننفق"

"وما دمنا نعيش عمراً طويلا فلنقتصد"

وكان في بلاد سومر فقراء يعيشون مع همومهم ومتاعبهم فقالوا:

٥-"خير للفقير أن يموت من أن يعيش"

" فإذا حصل على الخبز عُدم الملح "

"وإذا كان لديه الملح عُدم الخبز"

"وإذا كان لديه اللحم فيكون قد فقد الحمل"

"وإذا كان عنده الحمل فيكون قد فقد اللحم"

٦- ويقول السومري :

" يقضم الفقير فضته "

ومن قولهم :

"يقترض الفقير فتركبه الهموم، وهو واقع حال من يتعامل مع المرابين.

٧- ويقولون إذ يتأكدون من أن إخفاق الفقير لا يعود إليه بل إلى قُرناء السوء :

" إنني جواد أصيل ولكني رُبطت مع بغل "

٨- ويقولون في الحلة الفاخرة :

" كل فرد يميل إلى الشخص الذي يلبس الحلة الفاخرة " وهذا المثل أصبح عالمياً. يقولون في الغرب : إنهم يستقبلونك على قدر جمال هندامك.

٩- والزواج عند السومريين لم يكن بالعبء الخفيف فيقولون:

"من لم يُعل زوجة أو طفلا فقد سَلِم أنفه من حمل المقود"

١٠- وقد يُهمل السومري من قبل عائلته وفق ما يتراءى له فيقول:

" زوجتي خرجت إلى المعبد وذهبت أمي عند النهر وأنا هنا أموت جوعاً؟

١١- ويقولون في المرأة القلقة البرمه :

"المرأة البرمة القلقة في البيت تَضيف عذاباً إلى عذاب"

١٢- والرجل السومري قد يندم على زواجه فيقولون في الرجل:

"من أجل لذته الزواج وإذا ما تدبر الأمر: الطلاق"

١٣- ومن الملاحظ أن العريس والعروس قد يدخلان الحياة الزوجية في مزاجين مختلفين:

" القلب الفرح- العروس "

" القلب المغتم -العريس "

١٤-لم يتناس السومري أي شيء يتعلق بالحماة فيبدو أنها كانت أقل وطأة مما هي عليه في العصور الحديثة. وأما عن الكنة فكانت ذات شهرة لا تُحسد عليها فيقولون:

" محل التجارة في الصحراء هي حياة الرجل "

" والنعل عين الرجل "

" والزوجة مستقبل الرجل "

"والابنة ملجأ الرجل "

" أما الكنة فشيطان الرجل "

١٥- وقولهم في الحث على العمل والجد والتضامن:

"يدٌ إلى يد يمكنها أن تُتم بناء بيت المرء"

"ومعدة إلى معدة تخرب بيت المرء"

١٦- وقولهم في تقليد الغير:

"من شيدَّ كما يشيّد السيد عاش كالعبد"

"ومن بنى كما يبني العبد عاش كالسيد"

١٧-وقولهم في قوة الدولة :

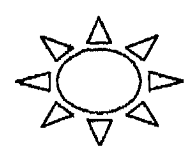
" الدولة الضعيفة في العدة والسلاح لا يمكن أن تطرد العدو من أبوابها "

" والمدينة التي ليس فيها كلاب تعبث بكرومها الثعالب"

١٨- وعن الحرب فينهون كمايلي :

" تذهب وتستحوذ على أرض العدو ويأتي العدو فيأخذ أرضك"

هذا ما أعطاه السومريون من أمثال تدخل كلها ضمن إطار الحكمة. علماً بأن لهم كتابات عديدة تتعلق بالتهذيب والإرشاد والوصايا والنصائح والمناظرات.



من التراث السوري

أوامر ونواهي كنعانية

تجاوباً مع ما جاء في مقال الأستاذ حسين حموي حول "استنفار وتعبئة كل القوى والمؤسسات الثقافية في الوطن العربي لمواجهة الانهيارات والتصدعات التي تفتت عضد الأمة..." أقول إننا يجب أن نبدأ في تنفيذ هذا المنهاج بتوعية الفرد بدءاً من تعريفه بأصالة أمته على أساس تراثها المجيد الذي أعطى العالم كل علم وفن وفلسفة. ومتى برزت هذه الأصالة في عقله وضميره يصبح مواطناً صحيحاً يعمل لخير أمته فيكون حلقة وصل بين الماضي والحاضر والمستقبل. وأما إذا بقي هارباً من المسؤولية فإنه يكون عالة على أمته دون إرادة يعمل لمصلحة الغير وبالأخص لمصلحة أعداء أمته. فلننهض بالفرد بدءاً من تعريفه إلى هويته الحضارية علّنا نستطيع أن نوقظ فيه حب تراثه والدفاع عن أمته.

انطلاقاً من هذا المبدأ نقدم إلى القارئ فصولاً عن التراث الذي قال به الأقدمون سعياً إلى وصل الماضي بالحاضر تطلعاً إلى مستقبل أفضل.

يقول حكماء كنعان في بلاد الشام منذ أكثر من خمسة آلاف سنة مايلي:

١- يجب أن نوجه صلواتنا إلى الآلهة الرحيمين. أنهم هم الذين منحوا المدن للوافدين من الصحراء والخبز إنتاج الحقول والخمر الناتج من العنب. فهل يمكن أن يبدأوا الآن بحكم يسوده السلام هم الذين يمكنهم أن يكونوا طيبين أو خبثاء.؟

٢- الرجل الذي بإرادته لم ينجب يجب أن يموت مُهملا وبعيداً عن ملته.يجب أن يرجم ويُغطى بالحجارة كما تُغطّى بالحجارة جذوع الكرمة.

وعلى العكس من ذلك فإنّ الآلهة تشرف على مصالح بقية الرجال وتشدُّ بأزرهم كما تُعضد الكرمة. فيجب تجنب معشر الخبثاء كما نجنب الكرمة من الحجارة لنغرس كرمة جديدة .

٣- في كل شهر يجب أن نقدم الذبائح حتى تصغي إلينا الآلهة الرحيمين.

٤- من أجل أن تكون أحكام الآلهة قرارات رحمة وسعادة، وحتى يقدموا مســـاعداتهم، يجب أن يقدم إليهم جدي وحليب وقشدة.

٥- عند رفع حوض الذبيحة فليكن ذلك لمجد الآلهة.

٦- الرجل الذي يتجه تلقائياً إلى الإله الرحيم يكون محاطاً بـــالعون الإلـــهي وبأنفـــاس الآلهة الرحيمة.

٧- يجب أن توجه الابتهالات إلى الآلهة الرحيمين الذيـــن يحـــددون معيـــار الزمـــن ويفرقون بين اليوم والآخر والجيد من الرديء أن كـــل جـــرم يرتكبـــه الإنســـان يعـــاقب عليه.الآلهة تحدد نهاية العز لمن يغادرون بيوتهم وعلى عكس ذلك فإنها تمنح الحماية لمـــن يخضعون ويتحملون التجارب برباطة جأش.

٨- قبل القيام برحلة طويلة أو بالإبحار على الإنسان أن يقوم بواجباته الدينيـــة ويدفـــع الضرائب المترتبة عليه نحو الآلهة.

٩- يجب أن يمدح الإله الذي يمنح الحياة إلى الشعب بكامله، إنه بـــإرادة الإلـــه "ايـــل" وبقدرة يده، يتكاثر الشعب ليصبح واسعاً كالبحر. إن يد الإله "ايل" قديرة وهي القوة بذاتها.

١٠- الإله "ايل" يتقبل الذبائح المقدمة إليه أمام حوض المذبح إنه يتقبل القرابين المقدمـــة باسمه في المعبد .

١١- الإله ينقض على الخبيث ليعاقبه. ويرفع يده عن الصالح والمستقيم. إنه هو الـــذي يجعل السماء تمطر ويأسف إذا بقيت محفوظة في الغيوم.

١٢- إن نساء كنعان أشبه ما تكون بالآلهة لأنهن جميلات وعالمات. إنهن يعرفن كيـــف يحببن من سيموت. ولكن حذار من الاقتراب منهن بأفكار سـيئة. يحـــب الســـيطرة علـــى الانفعال والابتعاد عن زوجة الغير. ومن المعروف أن الحرمان يُحدث الاضطراب ويجعـــل الإنسان حاراً كالنار التي تجفف الرّيق.

فيجب أن يبدو عفيفاً تجاه النساء.

لأن الزوجة تشبه زوجة الإله. إنها الشاهد على عجائبه أن بيتها مقدس كـالمعبد. إنـه مكان العجائب المقدسة وهي نفسها مثل بيت الإله.

الحكمة على شفاه النساء. ويجب أن نصلي إلى الرب حتى تبقى شفاههن حُلوة كالرمـان وتصبح الينبوع الذي تخرج منه الأقوال الحكيمة التي تقود إلى الرخاء.

١٣- عندما نعانق الزوجة فلنحتضنها بشدة حتى تجعل تحت وطأة "حرارة الحـرارات" وعندئذ يجب أن نصلي إلى الله كي يمنح الزوجة الحكمة المرجوة وأن تضع إلى الوجـود "أمل الأزهار"وديعتها. يجب الامتناع عن مشاجرة المرأة الحامل. لأن هذا العمل يؤدي إلـى نهاية العز. وإلى "ألم الآلام". فيجب الانتظار بصبر ساعة الولادة وإفهام الرجـل العنيـف الذي يفخر بجرأته أن الآلهة وحدها هي التي تُنضج "أمل الأزهار"

الآلهة تخلق كما نشتهي وهي هي التي تحدد جنس الولد كما تحدد يوم ولادته.

إن الصلوات للآلهة يجب أن تصعد من الصدر وليس فقط من الشـفاه. وبـهذا تمنـح الآلهة الحكمة إلى الزوجة ولذلك عندما نتوجه بالدعاء إلى الأرض والسماء فبكـل حميـة يجب أن تتلى الصلاة. إن من يتلوا الصلاة من فمه فقط، دون إيمان حقيقي، تغلق السـموات في وجهه.

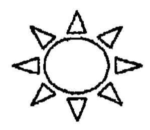
١٤- يجب أن تخشى يوم الولادة. كما يجب أن يهرب الذين أخافوا المـرأة الحـامل. لأنه أن عوملت الزوجة معاملة سيئة أثناء حملها فيمكن أن تضع في الشهر السـابع أو أن تتأخر عن موعد وضعها. ومن أدرك أعماله السيئة عليه ألا يعود إلى بيته لأنه لم يعد أهـلاً له. ويجب إن يطرد إلى الصحراء حيث يمكث فوق الصخور أو على الأشـجار إلـى أن يشفى من حقده أو لمدة سبع سنوات. وإن وافته المنية أثناء ذلك فقد تشهد عليه الآلهة لأنـها هي التي تكون طردته من بيته وأرسلته إلى الصحراء.

والشعب الذي لا ينجب هو شعب فارغ كالرجل الذي يطرد خـارج البيـت. وعلـى عكس ذلك فإن الأبواب تفتح لمن ينجب.

١٥- ولكن يجب الإشفاق على الرجل الذي لا ينجب دون إرادته. وفي كل مساء يجب تقديم كمية من الخبز والنبيذ إلى الفقراء المساكين الخالين من بذور الإنجاب حتى يتغذوا ويرووا أيام شيخوختهم ولكن حذار من الإسراف في شرب الخمر.

إن احتساء الخمر مساءً كمن يحتسي النار أنه يسكر ويضعف ولذلك يجب الإقلال من شرب الخمر ومن تقديمه إلى الأصدقاء.

هذه هي بعض من أوامر ونواهي الشعب الكنعاني الذي سكن بلاد الشام. ولعمري أن هذه الأوامر والنواهي لا تحتاج إلى شرح، إنها تفصح عن مكنوناتها من تقوى وحب للخير والعدل وكرم أخلاق أدت بعلماء الاجتماع إلى وصف رجال كنعان "بالنبلاء" .



نصائح حكيمة من العهد الاكادي :

إنه توبيخ في مجال الأخلاق ونصائح حكيمة وإرشادات سليمة وهي التي غني بها الأدب الاكادي في مختلف المؤلفات ذات الأهمية المتفاوتة الدرجات سواء أكانت مجموعة من الأمثال أو الحكايات أو الرموز أو التعاليم الأبوية.

إن إحدى هذه المجموعات من الإرشادات الأخلاقية التي تقدم ترجمتها فيمايلي: اشتهرت في بلاد ما بين النهرين القديمة شهرة واسعة حتى أتى ذكرها في رسالة ترقى إلى زمن السرجونيين.

كما ذكرت في رُقية كتبت بلغتين تعود إلى العهد الفارسي.

يتوجه أب بالكلام إلى ابنه يحضُّه على الاهتمام بأموره الخاصة ويبتعد عن المعاشرات السيئة وألا يفتري على أحد أو يشتمه أو يهزأ به. وأن يكون عطوفاً حتى على أعدائه وأن يَغيث التعساء ويحذر خاصة النساء فيما إذا أعطى أهمية إلى عبدة أو في حال زواجه من غانية. وأن يحذر من الأخطار التي يتعرض لها بفعل محاباه الكبار وأن ينتبه في كلامه إلى أنه يقوم بانتظام بواجباته الدينية وأن يكون شريفاً في علاقاته سواء أكانت من حيث الصداقة أو العمل.

إن ما يتراءى من هنا ليس سوى قواعد سلوك حذرة أكثر منها تعاليم أخلاقية من مستوى عال . إن الفقرة التي تبحث في الدين لا تعني مطلقاً الورع إلا كوسيلة إضافية في طريق النجاح. ولا تخلو هذه المجموعة من التذكير بحكمة "اهيكار: الشهيرة رغم أنه ليست فاتحتها التاريخية. وبالفعل فإن النبرة والأسلوب الإنشائي والعلم الأخلاقي نفسه، كله تنبع من مصدر واحد هو الحكمة الشرقية :

" إن من لا يقف في مكانه ولا يراقب بيته

" تصبح زوجته بالنسبة إليه شيطاناً حقيقياً

" من يعاشر السيئين يصبح محتقراً

٢٠- "وله سمعة سيئة بين ذويه

" لا تقرر شيئاً مع صانع الحكايات

"ولا تتشاور مع عاطل عن العمل أو كسول.

" فبالرغم من حسن نيتك تصبح من عقليتهم.

" لا تقلل من إنتاجك وتتخلى عن سبيلك

٢٥- " وتفسد فكرك مهما كنت حكيماً متواضعاً

" ليكن كلامك دقيقاً وحديثك مراقباً

" فهنا تكمن قوة الرجل ولتكن شفتاك ثمينتين

" وليكن مكروهاً لديك السباب والاغتياب

" فلا تتلفظ بهزءٍ ولا برأي منافق

٣٠- " إن من يخترع القصص يعامل باحتقار

" لا تذهب إلى المحكمة وتتوقف فيها

" وحيث يتخاصم الناس لا تقف

" ففي النزاع يكون لك نصيب

" كي لا تأتي وتشهد ضدهم

" وفي دعوى ليست دعواك سيأتون بك للتأكد

٣٥- " وعند حضور مخاصمة، اذهب ولا تكترث

" أما إذا كانت الخصومة تخصك فاطفئ فوراً النار المشتعلة

" لأن النزاع أشبه بخزان مفرغ

" إنه جدار صلب يدفن عدوّه

" وعندما يتذكرون ما خفي بحق هذا الرجل فسيعترضون عليه

" لا تكن خبيثاً مع من يفتش عن مخاصمتك

" ومن آذاك ردَّ عليه بالحُسنى

" ومن كان خبيثاً بحقك كن عادلاً معه

" ولتبقَ روحك تجاه عدوك صافية.

٥٦- " لا تحتقر الضعيف بل كن عطوفاً عليه

" لا تحتقر من يتعرضون للتجارب

" لا تشمئز منهم بتكبر

" إذ لهذا السبب يتخلى الإله عن كل واحد

٦٠- " إن ذلك لا يحلو بمشمش فيرد على ذلك بالجزاء

" أعطِ خبزاً للأكل وجعة قوية للشرب

" قدم ما يطلب إليك وأطعم وبارك

" بذلك يفرح الإله

" إنه يحلو مشمش فيردد عليه بالخير

٦٥- " قدم كل إشارات المساعدة وقدم الخدمات كل يوم

" وفي بيتك لا تعطِ أهمية لخادمة

" ولا تدعها تصلح مخدعك وكأنها زوجة حقيقية

" فان تركت الخادمات الفتيات يعملن فلن تعود تعرف تدبير شؤونك

" وإن صعدت واحدة إلى السطح فلن تستطيع أنت النزول عنه.

٧٠- " كما يقول عنك أخصاؤك هكذا:

" إن البيت الذي تحكمه خادمة يخرب

" لا تتزوج من بغي فأزواجها كثر

" ولا من ابنة عشتار التي نذرت نفسها للآلهة.

" ولا من بنت هوى لأن الكثيرين يقتربون منها

٧٥- " فإن وقعت في شقاء فإنها لن تساعدك

" وإن حملوك على المشاجرة فإنها تسخر منك

" والاحترام والخضوع لن يكونا من شأنها

" وإذا أصبحت لها السلطة على البيت فاطردها

" إذّ يكون فكرها قد توجه إلى الغرباء

٨٠- " إنها متقلبة: فالبيت الذي تدخله يُدمَّر وزوجها لا يعود موجوداً "يا بني! إذا كانت هذه هي إرادة الأمير الذي أنت تخصه

" وإذا كان دَلوَها معلقاً في عنقك

" فافتح غرفة ثروته وادخل

" لأن ليس سواك من يستطيع ذلك

٨٥- " وسترى في الداخل ثروات لا تقدر

" ولكن إياك أن يقع نظرك على شيء من هذا

" أو تدع رغبتك تقودك إلى اقتراف ما هو ممنوع

" إذ إن القضية تتكشف بعد ذلك

"ويكتشف ما اقترفته

٩٠- " وإذ يعلم به السيد فإنه يغضب

" ووجهه الضاحك لك يصبح مهدداً

" وعندئذ تقع على عاتقك مسألة صعبة

١٢٧- " لا تقم بوشاية قل دائماً أقوالاً جيدة

" لا تضمر شراً ولتكن كلماتك كلها طيبة

" إن من يفتري ويقول أقوالاً خبيثة

" ينتظر عبثاً مكافأة شمش.

١٣٠- " لا تدع فمك يهذر، راقب شفتيك

" ولا تبح بأسرارك وإن كنت وحدك

" فما تقوله مرة ستلقاه بعد حين

"ولذلك درّب فكرك على مراقبة أحاديثك

١٣٥- " قدم الاحترام في كل يوم إلى إلهك

" بالذبيحة والصلاة وبما يلزمه من بخور

" احتفظ لإلهك بالذبائح المفاجئة

" إن هذا يليق بالألوهية

" صلوات وتضرعات وعبادة

١٤٠- " وإذا قدّمت ذلك يومياً فان قوتك تعود إليك

" وكأنك تسير مع الإله في الصراط المستقيم

" ومن كل ما تعلمته أنظر إلى ما هو موجود علىاللوحة :

" أن احترام الآلهة هو بسبب حظوتهم

" والذبيحة تطيل بعمرهم

١٤٥- " ناهيك عن ذلك أن الصلاة تفك عقدة العقوبة

"ومن يحترم الأنوناكي تطول أيامه "الأنوناكي مجموعة من الآلهة الأرضية

"مع رفيق وشريك لا تقل ...

" لا تقل سفالات ولا تتفوه إلا بطيبة

١٥٠- " وإذا وعدت أوفِ بالوعد

" وإذا أحدثت الثقة فكمّل ما أنت تستحقه

" حقّق لشركائك ما تشتهيه لنفسك

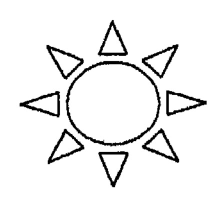
" ومن كل ما تعلمته أنظر إلى ما تحمل لوحتك

" لا يجوز الحصول على الثقة وعدم الاحتفاظ بها

" إن تَعد ولا تفي، فهو تجديف على مردوخ

" ومن أجل "ايشم-كاراب" ابن"انليل باندا"

" فالمؤمن بالإله " أيا " يرجوه فتزداد خيراته .



الفهرس

من منشورات دار علاء الدين

. في الثقافة السياسية
———— د. حسن حنفي

. الإعلام والتوعية المرورية
———— د. شاكر مخلف

. الأعمال الكاملة
———— ندرة اليازجي

. التربية السليمة للطفل
———— موريس لين

. خصيصا للحمير
———— عزيز نيسن

. الجوانب الجغرافية في حماية الطبيعة
———— د. أمين طربوش

. سيد درويش حياته ونغمه
———— أحمد بوبس

. الأقصوصة السوفيتية المعاصرة
———— د. ماجد علاء الدين

. الرواية التونسية حتى عام ١٩٨٥
———— ك.ك. لومونوف

. رفيق شكري اللحن الأصيل
———— أحمد بوبس

. كيف نعتني بالطفل وأدبه
———— اسماعيل الملحم

. الواقعية في الأدبين العربي والسوفيتي
———— د. ماجد علاء الدين

. الحسين بن منصور الحلاج
———— سمير السعيدي

. البيئة وحمايتها
———— نسيم يازجي

. الكويت في عيون امرأة دمشقية
———— جهينة الحموي

. المنمنمات الإيرانية
———— ريما علاء الدين

. تعلم كيف تمارس علم النفس
———— سمير عبده

. الضابطة العدلية
———— تركي موال

. العراق صفحات من التاريخ السياسي
———— د. كاظم موسوي

. الصحافة السورية بين النظرية والتطبيق
———— د. عدنان أبو فخر

. ذكراه في القلب
———— آنا غارغارين

. تعلم الطفل في الأسرة والمدرسة
———— اسماعيل الملحم

. صفحات من تاريخ فن الرقص
———— فائق شعبان

. ما الأدب المقارن
———— د. غسان السيد

. الأمثال الشعبية الفلسطينية
———— فوزي حمد قديح

. برتراند رسل
———— سمير عبده

* مغامرة العقل الأولى
.. .. فراس السواح
* لغز عشتار
.... فراس السواح
* الحدث التوراتي
.... فراس السواح
* دين الإنسان
.... فراس السواح
* آرام دمشق واسرائيل
.... فراس السواح
* جلجامش
.... فراس السواح
* بدايات الحضارة
.... عبد الحكيم الذنون
* تشريعات بابلية
.... عبد الحكيم الذنون
* تاريخ القانون في العراق
.... عبد الحكيم الذنون
* الديانة الفرعونية
.... واليس بدج
* سويداء سورية
.... مجموعة مؤلفين
* شريعة حمورابي
.... ت. أسامة سراس

* طقوس الجنس المقدس
.... إنانا ودوموزي
* الشركس في فجر التاريخ
.... برزج سمكوغ
* المراحل التاريخية لتطور النظام الاداري في سورية
.... دنحو داوود
* اليمين واليسار في الفكر الديني
.... د. حسن حنفي
* الاسلام والحروب الدينية
.... د. محمد عمارة
* نظرية الدولة في الفكر العربي المعاصر
.... د. محمد جمعة
* مذكرات عن الانقلاب العسكري
.... ميخائيل غورباتشوف
* الأساطير والحقائق عن عائلة ستالين
.... ت.د.ماجد علاء الدين
* الأخوة كينيدي
.... ت.د. ماجد علاء الدين
* مذكرات امرأة
.... روشن بدرخان
* من الرماد إلى الرماد
.... عائشة أرناؤوط
* ملحمة الزمن
..........ت.د. ماجد علاء الدين

هذا الكتاب

يتكلم مؤلف هذا الكتاب : ((صرح ومهد الحضارة السورية)) عن قصة تكون التطورات الحضارية في التاريخ السوري القديم ، وكيف كان النشوء والتطور عبر مراحل تاريخية متعاقبة ويتوقف المؤلف عند حضارات إيبلا وماري وأوغاريت القديمة ، وكيف كان لها دور كبير في تطور الحضارة في منطقة الشرق الأوسط، بل وكيف انعكست آثار هذه الحضارة على تطور حضارات العالم الأخرى .

يتكلم المؤلف عن دور الفرد في تطور التاريخ ، إذ يروي قصص بعض المشاهير من أمثال زنوبيا وهاني بعل وغيرهما من مشاهير العلماء والعظماء .

يفيد هذا الكتاب جميع المهتمين بالتاريخ القديم لسورية وكذلك الدارسين في كليات التاريخ .

الناشر